الرِّيَاضَةُ
والأَخْلَاق

الناشر

www.darelnokhba.com

رئيس مجلس الإدارة

أسامة إبراهيم

المدير التنفيذى

سماح الجمال

المدير الفني

أحمد جابر

تصميم الغلاف

أحمد صادق

التصميم الداخلى

وليد محمد

دار النخبة
للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى
- الحي الأول - مدينة الشيخ زايد -
الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢
٠١٢٨٨٦٨٨٧٥ - ٠٠٢
E-mail: alnokhoba@gmail.com

الرّيَاضَةُ والأخْلَاق

د. منصور مندور

٢٠١٧

تمهيد

تشغل الرياضة البدنية اليوم حيزاً كبيراً من حياة الناس، ومن ثم كان لا بدّ من معرفة القيم والأخلاق التي تكون سبباً في نجاح العملية الرياضية وتأدية دورها في قاطرة التنمية، ولا شك أن هذا ينعكس بدوره على الأسس والضوابط التي تنطلق منها العملية الرياضية.

ولقد ذخرتِ الشريعةُ الإسلامية بكل القيم الأخلاقية والآداب الإسلامية في كل ميادين التربية البدنية والرياضية، كما اهتم علماء الأمة بهذا الموضوع، فجاء متناثرًا في بطون الكتب؛ مما تطلبَ مني جهدًا كبيرًا، وسهرًا طويلاً، ومجهودًا مضنيًا، للوصول إلى إبراز هذه الحقيقة الغائبة عن كثير من الرياضيين الباحثين عن الحقيقة في هذا العصر.

وهذه القيم والأخلاق يكتسبها المسلم – سواء كان لاعباً أم مشجعاً– من عقيدته الصحيحة وتعاليم دينه السمحة، وهذه القيم الأخلاقية منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب، وبقدر ما يتحقق في أرض الواقع من تلك القيم وهذه الأخلاق تكون الرياضة قد آتت

ثمرها وأدت دورها في قاطرة التنمية، كما أن هذه القيم تلعب دوراً مهماً في تكوين شخصية اللاعب والمشاهد على السواء من خلال تحليل سلوكه وفهمه للعملية الرياضية، كما أنها تعمل بشكل دائم على تأهيله كي يكون إيجابياً وفعّالاً في الحياة.

ومن ثم جاء هذا الكتاب لكون إضافة للمكتبة الإسلامية وإثراء للفكر الإنساني وبيان لجمال الإسلام واشتماله على كل ما يعود على البشرية بالنفع والخير.

ولقد اشتملت المصادر الإسلامية على كثير من النصوص الدالة على اهتمام الإسلام بالجانب الأخلاقي في العملية الرياضية؛ ومن هنا كان اعتمادي على هذه المصادر كبيرًا في استخراج القضايا والأحكام والقيم الأخلاقية، مع ربطها بالفكر الحديث في المجال الرياضي، لبيان أن الدين الإسلامي قد اهتم بموضوع التَّرَيُّض البدني وصحة الإنسان عمومًا، تماماً كاهتمامه بالتَّرَيُّض الروحي .

ومن ثم يمكن القول بأن مَن جمعَ بين القوةِ البدنية، والقوةِ الروحية نال الخيرية وسعد بمحبة الله تعالى، ناهيك عن سعادته في الدنيا بالصحة والعافية، ومكانته في الآخرة بالتقوى والمنزلة

الطيبة، وذلك لما رواه الإمام مسلم عن أبي هُريرة ضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:» المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللَّهِ تَعالى مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ « [1]

والمراد بالقوة هنا كما قال الإمام النووي: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "وفي كل خير" فمعناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات.[2]

وهذا ما يتطلبه الإسلام كما يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي: يتطلب أجساما تجري في عروقها دماء العافية، ويمتلئ أصحابها

(١) صحيح مسلم ٢٠٥٢/٤

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب. باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

قُوَّةً ونشاطًا؛ فان الأجسام المهزومة لا تطيق عبئًا، والأيدي المرتعشة لا تقدم خيرًا، وللجسم الصحيح أثرٌ؛ لا في سلامة التفكير فحسب بل في تفاؤل الإنسان مع الحياة والناس، ورسالةُ الإسلام أوسع في أهدافها، وأصلبُ في كِيانها من أن تحيا في أمةٍ مرهقةٍ موبوءةٍ عاجزة.[٣]

إن الشريعة الإسلامية تميزت بميّزات كثيرة في العلوم والثقافة، والحضارة والإبداع، وفي مجالات متنوعة، ومن ذلك اهتمام الإسلام بصحة الإنسان، فقد وضعت الشريعة من القيم والأخلاق والأطر والمعاملات ما يضمن لمن يمارس الرياضة البدنية حياة كريمة في الدنيا والآخرة.

فحاجة شبابنا الشديدة والملحة للارتقاء بمستوى دوافعه الذاتية إلي تلك الوسائل الرياضية التي فيها إعلاءٌ لوسائل إشباع هذه الدوافع، وهي العملية التي تَخرج بها الرغباتُ اللاشعورية في نشاطات مقبولة اجتماعيا، والتي يمكن أيضا أن تفجر طاقاتٍ أخرى، يُعبَّر عنها في صور أعمالٍ إبداعية في المجالات المختلفة من

(٣) خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالي(رحمه الله) ص ١٤٢ ط دار الرحمة للنشر والتوزيع- القاهرة

الفنون والآداب والرياضة. وصدق الشاعر حينما قال:

حي الرياضة ما استطعت فإنها ... في كل شَعبٍ للإخاء شعـار

يتفرق الأفـراد في أهوائهـــــم ... ولدى الرياضة كلهم إخوان

وقد رأيت أن الشباب المسلم يجب أن يتميز – من بين الرياضيين في العالم- بتمسكه بالمنهج الإسلامي في تصرفاته وانفعالاته، وعند النصر أو الهزيمة، وفي اختياره للبطولات التي يخوضها، متخذًا من ممارسة الرياضة وسيلة لا غاية؛ وسيلة للتعارف والتواد والتواصل بين الشعوب؛ تحقيقاً لقوله سبحانه في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٤)

ومن ثم فإن الشريعة الإسلامية لا تمانع من الاشتراك في المسابقات الرياضية التي تهدف إلى ما يهدف إليه الإسلام من التعارف والتآلف والتوافق والعيش في محبة وسلام.

فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع أو

(٤) [سورة الحجرات: ١٣]

الشقاق، بل يقتضي التعاون والتكاتف للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات.

وليس للجنس أو اللون أو اللغة أو الوطن أو أيٍّ من سائر هذه المعاني حساب في ميزان الله؛ إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس؛ هذا الميزان حدده الله تعالى في محكم التنزيل بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٥)

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض؛ وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد. كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض،

(٥) [سورة الحجرات: ١٣]

والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت، والعصبية للنادي.

هذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، ويدعو إليها المجتمع الإنساني العالمي، فعندما تقام الدورات والبطولات؛ يجب أن يتعامل الجميع على أنهم بنو أدم، وأنهم جميعا من أصل واحد كلكم لآدم وآدم من تراب.

إنه الدستور الإلهي الذي يدعو إلى التعارف والتآلف؛ مبينا أنه ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين القيم والخلق الرفيع، فينبغي للإنسان أن لا يحتقر أحداً؛ فربما كان المحتقَر أطهرَ قلباً وأزكى عملاً وأخلصَ نيةً؛ فإن احتقار عباد اللّه يورث الخسران ويورث الذل والهوان.

بل إن قمة الخسران والهوان أن تنسى الله تعالى، أو يلهيك عملك وموهبتك وقوتك عن طاعة الله تعالى ومعرفته والخضوع له والتقرب منه سبحانه، فإن الخسران- كل الخسران- أن تستغني بقوتك عن قوة الله عز وجل، أو أن تستغني بعلمك عن علم الله سبحانه، وقد جاء في الأثر (اللّهُمّ أَغْنِنِي بِالْعِلْمِ، وَزَيِّنِّي بِالْحِلْمِ،

وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى، وَجَمِّلْنِي بِالْعَافِيَةِ) [٦]

والشاهد في الدعاء قوله: (وجملني بالعافية) فإنه لا جمال كجمالها ولا نعمة تعدلها؛ وفي البخاري قال عليه السلام: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ). فهي التي تدفع صاحبها للعمل الصالح، والجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الأرض والعرض، وإخافة الخصم، ومَن تُسوّل له نفسه بالاعتداء على الآخرين؛ وقد جاء في كثير من قول أهل العلم أن المراد بحسنة الدنيا في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [٧] الصحة والعافية؛ قال قتادة: حسنة الدنيا العافية في الصحة وكفاف المال. والحسنة الزائدة في الدنيا الصحة والعافية والظفر والغنيمة.

فطالما كانت تلك القوة في ذات الله تعالى فهي محمودة، وتكون مذمومة إذا دعت إلى التجبر أو الظلم أو الاستكبار؛ قال العلماء: المراد بمدح القوة: القوة في ذات الله وشدة العزيمة، والمراد بذم القوة التجبر والاستكبار. [٨]

---

(٦) كنز العمال للمتقي الهندي المجلد الثاني رقم: ٣٦٦٣ والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي المجلد الثاني رقم: ١٥٣٢

(٧) [سورة البقرة: ٢٠١].

(٨) فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي الجزء الأول الحديث رقم: ٥٨

ومن ثم جاء على لسان ابنة شعيب وهي تتحدث عن موسى لما سقى لهما: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٩) وذلك لما رأت من قوته ما يهابه الرعاء فيفسحون له الطريق ويسقي لهما، ولما رأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته.

فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل، أمين على المال؛ فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه. وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب، ولا تخشى سوء الظن والتهمة؛ فهي بريئة النفس، نظيفة الحس، ومن ثم لا تخشى شيئا، ولا تتمتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على أبيها. واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته؛ ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة، وميلا فطريا سليما، صالحا لبناء أسرة.

والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تلوث ولم تنحرف عن فطرة الله؛

(٩) [سورة القصص: ٢٦]

فجمع الرجل بين الغايتين وهو يعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنين، فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به.

ومن ثم يجب أن تلتفت جميع مؤسسات المجتمع –الحكومي والمدني- إلي الاهتمام بالأنشطة التربوية وخاصة الرياضية منها، والرعاية المتكاملة للنشء والشباب تأكيدًا علي الشخصية المتكاملة للإنسان المسلم في كافة محدداتها العقلية والنفسية والبدنية والاجتماعية.

خاصة وأن مصطلح "التربية الرياضية" يعني تنمية المهارات الخاصة بالألعاب الرياضية مثل كرة السلة والقدم واليد وخلافه، أما التربية البدنية فهي تعني تنمية الجسم وجعله متناسقاً، ومتناسباً مع العناية به، وتدريب عضلاته والتخلص من السمنة الزائدة، والحفاظ على مرونة المفاصل والعضلات، وبمعرفة الهدف لكل مصطلح نجد أن وجود أحدهما يتطلب الآخر، فلا يمكن أن تحقق أهداف التربية البدنية إلا بملازمة التربية الرياضية، وكذلك

تحقق التربية الرياضية أهداف التربية البدنية، ولذلك نجد أن التربية البدنية هي الأساس، وهي ضمن تربية الإنسان في جميع نواحيه، ومن ثم فإننا بحاجة ماسة للعناية بأجسام أبنائنا وتربيتها تربية صحيحة من ناحية الجلوس والمشي والحركة، والحفاظ على الحواس التي وهبنا الله إياها، وهذا جزء من التربية البدنية الذي ينبغي الاهتمام به والالتفات إليه في مرحلة مبكرة.

وهذا ما نحتاج اليوم إلى إرسائه في مدارسنا وجامعاتنا وأنديتنا؛ وفق برنامج رياضي منضبط بالقيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية النابعة من ديننا الحنيف.

ومن ثم جاء هذا البحث الذي اختصرته من دراسة استغرقت أكثر من ثلاثمائة صفحة أعددتها خصيصًا لهذا الغرض الرياضي التّربويّ الإسلامي، والذي أسأل الله تعالى أن يجعله حقيقةً على أرض الواقع؛ ليكون الشباب المسلم نموذجًا في التحلي بمكارم الأخلاق؛ تحقيقاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: إنما بُعثت لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق.

اللّه أسأل أن يجعلَ هذا العملَ خالصًا لوجهه نافعاً لعباده، وإن كنتُ أصبتُ فالخير أردتُ، وما توفيقي إلا باللّه؛ عليه توكلتُ وإليه أنيب، وصلّى اللّه وسلم وبارك علي نبيه محمد، وآله وصحبه أجمعين، والحمد للّه الذي تتم بنعمته الصالحات.

مقدمه : دكتور منصور مندور

الباب الأول
القِيَمُ الأخلاقيةُ
في التّربيةِ الرّياضيّة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: اهتمام الإسلام بالقيم الأخلاقية في التربية الرياضية.

الفصل الثاني: الأسس التي تقوم عليها القيم الأخلاقية في التربية الرياضية.

الفصل الثالث: أهداف القيم الأخلاقية في التربية الرياضية.

الفصل الأول

اهتمامُ الإسلام بالْقِيَم الأخْلاقِيّة في التّربيَةِ الرّيَاضيّة

وفيه:

- مَفْهُومُ الْقيَم الأخْلاقيّة
- ضَعْفُ الخُلُقَ دَليلٌ عَلَى ضَعف الإيمَان
- القِيَمُ الأخلاقيّة في رِحَاب الإسْلام
- البعد الأخلاقي في أركان الإسلام

مَفْهُومُ الْقِيَمِ الأَخْلاقِيّة

تمهيد

يتميز كل علم بتعريف خاص يمنع من دخول علم آخر في مسائله وقضاياه، وعلم الأخلاق كسائر العلوم له تعريفه الذي يتميز به عن غيره، رغم اختلاف الآراء في هذا التعريف تبعًا لاختلاف وجهات النظر في هذا العلم.

وقبل الشروع في الحديث عن القيم الأخلاقية لابد من توضيح مفهومها لغوياً.

فالقِيَم واحدها القيمة (بالكسر) من قام يقوم، وأصله اسْتَقَامَ أي اعْتَدَلَ؛ فهو مُسْتَقِيمٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي المستقيم الذي لا زَيْغَ فيه ولا مَيْلَ عن الحقِّ.

وأما الخُلُق فيُطلق على ما يأخذ الإنسانُ به نفسه من الأدب؛ مثل الطبع والسجية والعادة والتمرين، فإذا أَلِفَ الإنسان شيئاً صار له خُلُقاً.

قال أبو بكر الأنباري: الخلق في كلام العرب على وجهين:

أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التقدير، وقال في قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[١٠]، معناه: أحسن المقدرين وقوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾[١١]خلقه: تقديره ولم ير أنه يحدث معدوماً[١٢].

والخُلُق كما قال الإمام الفيروزآبادي: الدين والطبع والسجية[١٣]، ويطلق على صفات النفس الباطنة، قال ابن منظور صاحب لسان العرب: «وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها[١٤].

وقال الراغب الأصفهاني: «الخَلْق والخُلُق في الأصل واحد، كالشَّرْب والشُرب ولكن خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُق بالقوي، والسجايا المدركة بالبصيرة[١٥].

---

(١٠) سورة المؤمنون (١٤)

(١١) سورة آل عمران(٤٩)

(١٢) ابن منظور، لسان العرب ج١٠ ص ٨٥.

(١٣) وانظر كذلك ابن منظور، المرجع السابق (٨٩/١٠)

(١٤) ابن منظور، المرجع السابق (٨٦/١٠).

(١٥) مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني كتاب الخاء.– ص ١٥٨

والخلاق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه، قال تعالى: ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾[١٦] وفلان خليق بكذا، أي: كأنه مخلوق فيه، ذلك كقولك: مجبول على كذا، أو مدعو إليه من جهة الخلق[١٧] قال ابن منظور: « واشتقاق خَليق وما أَخْلَقه من الخَلاقة، وهي التَّمْرينُ؛ من ذلك أن تقول للذي قد أَلِفَ شيئاً صار ذلك له خُلُقاً أي مَرَنَ عليه، ومن ذلك الخُلُق الحسَن.

(١٦) سورة البقرة:١٠٢

(١٧)مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني كتاب الخاء.– ص ١٥٨

فَائِدَةُ الْقِيَمِ الأَخْلاقِيّة

لا شك أن لكل علم من العلوم فوائد جمة في المجالات التي يبحث فيها هذا العلم؛ فهو يمدنا بالنظريات والقواعد التي تجعل المعرفة في كل نواحيه واضحة متكاملة؛ كي نقف علي أهدافه التي تفيدنا في حياتنا، وتحفظ علينا سعادتنا، وتبصرنا بأصوله وفروعه.

فعلم الطب مثلا يبين لنا الأمراض المختلفة وطرق علاجها، وسبل الوقاية منها، وكيفية توقي العدوى من هذه الأمراض، ويشرح لنا القواعد السليمة التي تجعلنا في صحة وعافية وقوة؛ ولكن هل معني هذا أن علم الطب يضمن لنا الصحة، ويجعلنا دائما في أمان من الأمراض وشرورها؟!

كلا إن هذا لا يتحقق إلا بأمرين:

أولا: أن تكون بنية الإنسان قوية، قادرة علي مقاومة مكروبات الأمراض والتغلب عليها، وهو ما يعرف بقوة المناعة.

ثانيا:أن يُلزم الإنسان نفسه-عن رغبة منه-كل القواعد الصحية من النظافة والحماية ولا يهمل فيها.

ومن ثم فإذا أردنا أن ينطبق ما قلناه عن علم الطب على علم

الأخلاق؛ فإنه يمكن القول بأن علم الأخلاق يبين لنا الفضائل المختلفة ويشرح لنا فوائدها الجمة، وكيف أن المتحلي بها يكون الإنسان المثالي، ويكون أقرب إلي الله وأعلي منزلة، وأنه يفعلها ويحيا حياة صالحة قويمة سعيدة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿واتّقُوا اللّه ويعلّمكُم اللّه﴾ (١٨) وفي الأثر عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ««مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (١٩)

وتأملْ معي هذا الحديث الذي يعبر عن سنة الله في خلقه، وأن هذا الدين يدعو إلى الأخذ بالأسباب وعدم الركون إلى الدنيا؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ؛ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: (يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

- لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ. حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

---

(١٨) سورة البقرة: ٢٨٢

(١٩) راجع: مختصر تفسير ابن كثير. اختصار الصابوني المجلد الثالث سورة العلق.

● وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.

● وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

● وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

● وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ) (٢٠)

وهنا نتساءل: هل في استطاعة علم الأخلاق أن يجعلنا صالحين أخيارًا ؟! كما تساءلنا – من قبل- في علم الطب؛ هل يستطيع أن يجعلنا أقوياء أصحاء؟!

وبالتجارب يمكن القول بأن علم الأخلاق ليس في استطاعته أن يجعل الناس أخيارًا كما عجز علم الطب أن يجعلهم أصحاء، ولكن لكي يكون الناس أخيارًا يجب أن يتوفر فيهم أمران.

(٢٠) (أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن رقم ٤٠١٩ ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي الحديث رقم:٩٦١٥ وكنز العمال للمتقي الهندي رقم: ٤٤٠١٠- وزيادة الجامع الصغير، والدرر المنتثرة رقم: ٤٢٤٢

الأمر الأول: أن يكون المرْءُ مستعداً لذلك، وان يكون ميّالاً بطبعه إلي الخير والتقوَى والصلاح، ويكره الرذيلة بوازع داخلي من ضميره ووجدانه.

الأمر الثاني: أن يتقبل أوامر علم الأخلاق وما يحض عليه من الفضائل، وأن يؤمن برسالة علم الأخلاق ويحملها ويبشر بها؛ عن سهل بن سعدٍ رضي اللّه عنه، أن رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال لعليّ رضي اللّه عنه: «فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ». (٢١)

وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة؛ وذلك لأن الهداية شعبة من الرسالة السماوية، ولأن الرسل إنما بعثت لتبلغ عن اللّه عز وجل، فإذا ورد من يحمل مشاعل الهداية يوم القيامة كان له حظ من ثواب الرسل؛ فإنه إنما هداه بما جاءت به الرسل عن اللّه، والرسل أقرب الخلق إلى اللّه في دار الإسلام في الدرجات، فمن دون الرسل إذا كان داعيا إلى اللّه فهدى به عبداً فقد حاز من ثواب الرسل حظاً من الكرامة،

(٢١) البخاري (٣٧٠١) ، ومسلم (٢٤٠٦)

ومن يحصي من ثواب الرسل شيئاً فهو خير له مما طلعت عليه الشمس وغربت، فكيف بمن أحيى قلبه حتى ظفر بحياة الآخرة، وإذا هدى اللّه قلباً على لسان ناطق بالهدى فقد أكرم الناطق بجزيل الكرامة، فمن الكرامات أن جعل لكلامه من النور كسوة تلج آذان السامعين مع تلك الكسوة، فتخرق حجب الشهوات حتى تصل إلى مستقر الإيمان من قلوبهم، فتحيي من مات منهم وتشفي من سقم، ومنها أن جعل لكلامه من السلطان ما يذهل نفوس المخلطين عن شهوانهم، ومنها أن تأخذ نعمه النورانية بنواصي قلوب العباد؛ فتردهم إلى اللّه جذباً وسيراً، ومنها أن جعله من العملة الخزنة للقلوب ببذر يبذره فيزرعه اللّه فيها وينميه منها فلا منقبة أعلى منها، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٢)

فهذا مثل ضربه اللّه تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أي في الضلالة هالكاً حائراً، فأحياه اللّه، أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه ووفقه لاتباع

(٢٢) [سورة الأنعام: ١٢٢].

رسله، يعني أنه كان ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم. والنور عبارة عن الهدى والإيمان الذي يدخل القلب فيمده بالحياة؛ وأنشد بعض أهل العلم ما يدل على صحة هذا التأويل لبعض شعراء البصرة:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور

وإن امرأ لم يحي بالعلم ميت فليس له حتى النشور نشور

ومن ثم يمكن أن تشبهه علم الأخلاق بالطبيب؛ فالطبيب يبصّر مريضه بالأضرار التي تنجم عن شرب المسكرات وتناول المخدرات، ويصف له أضرارها ويشرح له تأثيرها الضار في الجسم والعقل معا، والمريض له بعد ذلك أن يختار طريقه إما أن يمتنع عن الخمر فتتحسن صحته، وإما أن يتعاطاها فتفسد صحته، والطبيب لا يستطيع منعه، وكذلك علم الأخلاق؛ فانه لا يستطيع أن يجعل كل فرد صالحا ورعا، ولكنه يريه الخير والشر، ويبين له أثارهما؛ والإنسان بعد ذلك كله حر في اختيار طريقه؛ إما طريق الشر وإما طريق الخير.

فعلم الأخلاق لا يفيدنا ما لم تكن لنا إرادة تنفذُ أوامره وتجنبنا نواهيه؛ أجل يمكن لمن يدرس الأخلاق أن يصدر حكما

علي الأشياء بأنها خير أو شر، وقد يتحلي بالفضائل ويكون صالحا حسن الخلق، ولكنّ مثلُ دارس علم الأخلاق ومن لم يدرس هذا العلم، كمثل رجل درس هندسة السيارات وآخر لم يدرسها؛ إذا أراد كل منهما أن يشترى سيارة، كل يري أن يختبر السيارة، ولكن ممارسة الأول وتجاربه تجعله أصدق حكما علي قوة السيارة وسلامتها ومتانتها وأحسن تقويما لها.

كما انه يجب أن يقرر أن كل علم يمنح دارسه المتعمق في فهمه نافذة في ميادين المعرفة التي يبحث فيها هذا العلم، فكذلك الحال في علم الأخلاق فهو يمد دارسه بالقدرة علي فهم الأعمال التي يأتيها الناس وتقويمها تقويما مستقلا وغير خاضع في أحكامه إلي عرف الناس وتقاليدهم وما ألفوه، بل هو يبني حكمه علي نظريات علم الأخلاق وقواعده.

وأخيرا يجب أن نعرف أن أهداف علم الأخلاق ليست قاصرة علي تحديد الفضائل والرذائل وتوضيح الخير والشر؛ بل من أغراضه الهامة التأثير في إرادتنا وهدايتها، وحثنا علي أن نشكّل حياتنا ونصبغ أعمالنا حتى يتحقق المثل الأعلى للحياة ويتحقق

خيرنا وكمالنا ومنفعة الناس وخيرهم، فهو يقوي إرادة الإنسان ويشجعها علي عمل الخير، ولكن علم الأخلاق لا ينجح في ذلك دائما، فهو إنما يؤثر أثره ويؤتي أكله إذا طاوعته طبيعة الإنسان الخيرة وفطرته السليمة، ولقد حثنا النبي الخاتم على هذه المعانبي الراقية والمبادئ الفاضل للوصول إلى أرقى مستويات الإنسانية في ظل القيم الأخلاقية؛ فعن أَبي سَعيد: "أَنّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا النبيّ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمّ سَأَلُوه فَأَعْطاهُمْ، ثُمّ قَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللّه، وَمَنْ يستعفف يُعِفّهُ اللّه، وَمَنْ يَتَصَبّرْ يُصَبّرْهُ اللّه، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ شَيْئَاً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصّبْرِ". (٢٣)

وعلى الرغم من قصر هذا الحديث إلا أنه اشتمل على علاج كثير من الأمراض القلبية التي تصيب كثيرا من الناس نتيجة فراغ قلوبهم من الإيمان أو ضعفه في قلوبهم؛ ففيه الحث على التعفف والقناعة والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا، ومن ثم جاء معلم البشرية بهذه القيم ليعيد الناس إلى طريق الله

(٢٣) أخرجه مسلم في الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى...، رقم: ١٠٣٤ وصحيح البخاري ١٤٠٣، ٢٥٩٩

القويم وصراطه المستقيم؛ فدعا الناس إلى الاستغناء فقال: (ومن يستغن) أي يظهر الغنى بالاستغناء عن أموال الناس والتعفف عن السؤال حتى يحسبه الجاهل غنياً من التعفف (يغنه الله) أي يعطيه ما يغنيه عن الخلق، أو يجعله غنياً أي بالقلب ففي الحديث: ليس الغني عن كثرة العرض إنما الغني غني النفس.

وكذلك الأمر بالنسبة للاستعفاف الذي هو طلب العفاف، والتعفف الذي هو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، فإن من طلب العفة وتكلفها أعطاه الله إياها، يعني أن من قنع بأدنى قوت وترك السؤال تسهل عليه القناعة وهي كنز لا يفنى، إذ إن الاستعفاف هو الصبر والنزاهة عن الشيء.

وكذلك الأمر بالنسبة للصبر فإن من يتصبر أي يطلب توفيق الصبر من الله لأنه قال تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾. أو يأمر نفسه بالصبر ويتكلف في ذلك، ويتصبر عن السؤال والتطلع إلى ما في أيدي الناس بأن يتجرع مرارة ذلك ولا يشكو حاله لغير ربه، فإن الله يصبره بالتشديد: أي يسهل عليه الصبر، ويؤيد ذلك قوله (وما أعطي أحد شيئاً هو خير وأوسع من الصبر) قال القاري: وذلك لأن مقام الصبر أعلى المقامات لأنه جامع لمكارم الصفات

والحالات ولذا قدم على الصلاة في قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾. ومعنى كونه أوسع أنه تتسع به المعارف والمشاهد والأعمال والمقاصد.

إذا العلوم وحدها لا تكفي بل لا بد من الاستعداد الفطري لتقبلها والعمل بها، يقول أرسطو في ذلك (ولو كانت الكتب قادرة وحدها علي أن تجعلنا أخيارا لا استحقت أن يطلبها كل الناس، وان تشتري بأغلى الأثمان، ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيع المبادئ في هذا الصدد أن تشد عزم بعض فتيان كرام علي الثبات في الخير، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقا للفضيلة وفيا بعهدها)[٢٤]

فما أجدر أن يتخلق الرياضي بأخلاق الأنبياء والصالحين، وأن يلزم نفسه ذلك في السراء والضراء، في النصر والهزيمة، في الحزن وفي الفرح، في أرضه وفي خارج أرضه، وفي السفر وفي الحضر، وأن يجعل الخلق الحسن والمبدأ الحق سجية له وطبعاً في كل الأحوال، فهو سفير لدينه حامل لراية وطنه؛ فعليه أن يكون مرآة طيبة يعكس من خلالها كل معاني الخير والحب.

---

(٢٤) صـ ١٣ في الأخلاق الإسلامية والإنسانية د علي معبد ط أولى ١٩٨٥م دار الكتاب الجامعي

قَبُولُ الأَخْلاقِ لِلتَغيير

قد يصاب الإنسان نتيجة البيئة التي يعيش فيها أو بسبب أحد العوامل الوراثية بخلق لا يتفق مع الأخلاق الفاضلة والقيم الراقية، فهل عليه أن يسعى لتغيير هذا الخلق؟ أم عليه أن يستسلم لذلك؟ أو بمعنى آخر هل الأخلاق قابلة للتغيير، أو أنها ثابتة لا تتغير مهما حاول الإنسان العمل بالتربية علي تغييرها؟ يعني هل الخلق جبلي لا يستطاع تغيره؟ أو يمكن اكتسابه؟

لقد اختلف الباحثون في ذلك إلى رأيين:

الرأي الأول: فذهب فريق منهم إلى أنّ الأخلاق لا تتغير، بل هناك استحالة في ذلك؛ لأنها من جنس الخلقة، ولا يستطيع أحد تغييره عما جبل عليه، ولأن الناس - في نظرهم- قد جلبوا علي الخير أوعلي الشر، وذلك لأن من تمخضت فيه مادة الخبث فقد طبع على الخلق المذموم الذي لا مطمع في تبدله، ومن تمخضت فيه مادة الطيب فقد طبع على الخلق الحسن المحمود، الذي لا مطمع في تبدله، وتعلق هذا الفريق بظاهر هذا الخبر وأشباهه كالخبر الآتي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الأخلاق

من الله، فمن أراد به خيرا منحه خلقا حسنا، ومن أراد به سوءا منحه خلقا سيئا». [٢٥] وقوله - ﷺ - إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل»[٢٦]

قال الشريف السمهودي: وقد جربت مصداقه الآن؛ فكم أظهر الواحد منهم التوبة عن أخلاق ذميمة بعد بذل الجهد في أسباب إزالتها، ثم نكص على عقبيه راجعاً لما كان عليه، لاقتضاء خبثهم المستحكم وعظيم بغضهم لأهل الخير، وهؤلاء يعبر عن رأيهم بقول الشاعر:

ولن يستطيع الدهر تغير خلقة *** لئيم ولا يستطيعه متكـــرم

وما هذه الأخلاق إلا غرائـــز *** فمنهن محمود ومنهن مذمم

وكما قال: البحتري:

وما هذهِ الأخلاقُ إلا مواهبٌ *** وإلا حظوظٌ في الرجالِ تُقَسَّمُ[٢٧]

---

(٢٥) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي المجلد الثاني الحديث رقم:٢٥١٦. انظر: فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي في: الجزء الثاني. [تابع حرف الهمزة] الحديث رقم: ٢٥١٦[ص ٥٤٨]

(٢٦) انظر: تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي: المجلد الثاني. كتاب آداب الأكل: الباب الرابع، في آداب الضيافة.

(٢٧)مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي،لأحمد قَبّشالباب السابع: باب الخاء-٣- الخلق والاخلاق.

وقد يؤيد هؤلاء رأيَهم في هذا المجال بما جاء في قوله تعالى: ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾[٢٨] فقدر إشارة إلى ما سبق به القضاء، والكتابة في اللوح المحفوظ والمشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام بما روي في هذا المعني: (فرغ ربكم من الخلق والخلق، والرزق والأجل)[٢٩] ولعلهم يقصدون بذلك- أيضا- أولئك الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾[٣٠] وهم الذين قالوا في معرض الصلف والغرور: ﴿ سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾[٣١]

ومنها حديث ابن مسعود فرغ من أربع: من الخَلْقِ والخُلُق، وحديث إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وما أحسن قول بعضهم:

---

(٢٨)[الأحزاب/٣٨]

(٢٩) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٣٦/٢؛ وهو في مجمع الزوائد ١٩٥/٧ كتاب القدر؛ والفتح الكبير ٢٦٦/٢. ومسند أحمد ١٦٧/٢)

(٣٠) [سورة البقرة: ٦-٧]

(٣١) [سورة الشعراء: ١٣٦].

ومَن تحلَّى بغير طبـــــع *** يُرَدُ قسرًا إلى الطبيعة

كخاضب الشيب في ثلاث *** تهتك أستاره الطليعــة[٣٢]

الرأي الثاني: وهناك فريق آخر يري أن الأخلاق مكتسبة من التربية، ومن البيئة ومن الوراثة، ويرون أنه يمكن تأويل حديث الرسول ﷺ : بأن الله فرغ من تقدير الخلق والخلق، وعلي ذلك فإنه يمكن تغيير الخلق، فلا شيء من الأخلاق في نظرهم مطبوع، وليس يتعذر علي الإنسان أن يتحول من خلق إلي آخر، فقد ينقلب الطالح صالحا، كما ينقلب المفسد مصلحا.

وعلي رأس القائلين بهذا الرأي (ابن مسكويه) صاحب كتاب تهذيب الأخلاق، والإمام أبو حامد الغزالي صاحب كتاب إحياء علوم الدين.

قال الإمام الغزالي[٣٣] : لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: "حَسّنُوا

---

(٣٢)كشف الخفاء، للإمام العجلوني في: حرف الهمزة.حرف الهمزة مع النون الحديث رقم: ٧٩٩ صفحة ٣٠٣

(٣٣) إحياء علوم الدين جـ٣ صـ٦٠ دار الريان للتراث ط١

أَخْلاقَكم»[٣٤] وكيف يُنكَر هذا في حق الآدمي، وتغيير خلق البهيمة ممكن؛ إذ ينتقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل هذا تغيير للأخلاق.

ثم عزى ذلك – رحمه الله- إلى أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه، والطاعة له، وباعتقاد كونه حسنًا ومرضيًا للناس.

ولاشك أن هذا الرأي صواب، وإلا لفقدت التربية قيمتها، ولكان إقامة دور التعليم والتربية والتهذيب لا فائدة منها ولا أمل فيها، ولذا فإننا نجد أن (ابن مسكويه) يؤلف كتابه السابق (تهذيب الأخلاق) أو كما يسميه (مسكويه) في عرض كلامه (طهارة الأعراق) ويضع فيه أراء ووصايا تعتبر بحق برهانا عمليا ودليلا ماديا علي اقتناعه بإمكان تغير الأخلاق.

ولكني أرى أنه لابد من سلطان يكون له تأثير على القلب والفكر؛ يجعل الإنسان قابلا للتغيير، وليس هناك سلطان أقوى من سلطان

(٣٤) راجع: تخريج أحاديث الإحياء،المجلد الثالث كتاب رياضة النفس. الحديث رقم: ١

الإيمان؛ فإن الإيمان إذا دخل القلب انفسح له واتسع، ولا يكون ذلك إلا بشرح الصدر وتنويره بالبيان، وذلك بأن يُيسّره له وينشّطه ويسهّله لذلك، فهذه علامات على الخير؛ قال تعالى: ﴿ولكنّ اللّه حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾، وذلك بأن يوسع الله قلب عبده للتوحيد والإيمان به، ويوفقه ويزين عنده ثواب الطاعة والتوجه إلى الله تعالى بكل أعماله وتصرفاته حتى يمتثل إلى الله تعالى قلبا وقالبا، وهذا ظاهر في توجهات الخلق، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٣٥] وسئل النبي ﷺ ،كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: نور يقذف فيه؛ فينشرح له وينفسح. قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» وعن عبد اللّه بن مسعود قال: تلا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم هذه الآية: ﴿فمن يرد اللّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ قالوا: يا رسول اللّه ما هذا

(٣٥) [سورة الأنعام: ١٢٥]

الشرح؟ قال: «نور يقذف به في القلب»، قالوا: يا رسول اللّه، فهل لذلك من أمارة تعرف؟ قال: «نعم»، قالوا: وما هي قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت»وسئل النبي ﷺ أي المؤمنين أكيس؟ قال «أكثرهم ذكرا للموت وأحسنهم لما بعده استعدادا..

وهنا يلاحظ أن هذا الرأي الذي اختاره (ابن مسكويه) يتفق تماما مع تعاليم الإسلام ، فلو لم يكن تغيير الخلق ممكنا لما قال الرسول ﷺ لمعاذ (استقم وليحسن خلقك) واللّه جل جلاله أعدل من أن يعذب قوما مطبوعين علي الشر لا يستطيعون منه فكاكا بما اقترفوا من ذنوب وآثام وهو القائل في كتابه الكريم ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (٣٦) ومن ثم فأنه يمكن تغييره لأنه مأمور به ولو لم يكن لما أمر به.

وأخيراً أقول:

إنه لا سبيل إلى تغير القوة التي هي السجية؛ والسجية اسم لما يسجى عليه الإنسان، وأكثر ما يستعمل ذلك كله فيما لا يمكن

(٣٦) [سورة البقرة ٢٨٦]

تغييره من عادات وصفات ورثها وشب عليها الإنسان

لكن الخُلُق تارة يقال للقوة الغريزية، وهو المراد هنا، وهذا أمر لا يمكن تغييره.

وتارة جعل اسماً للحالة المكتسبة التي يصير بها الإنسان خليقاً أن يفعل شيئاً دون شيء، كأن يتعلم أمرا لم يكن عنده من قبل.

وتارة يجعل الخُلُق من الخلاقة أي الملابسة؛ وكأنه اسم مأمون عليه الإنسان من العادة وهو الذي يقال باكتسابه؛ فجعل الخلق مرة للهيئة الموجودة في النفس التي يصدر عنها الفعل بلا فكر، ومرة اسماً للفعل الصادر عنه باسمه.

وعلى ذلك هناك أسماء، أنواعها من نحو عفة وعدالة وشجاعة؛ فإن ذلك يقال للهيئة والفعل جميعاً، ولكن الله تعالى جعل للإنسان سبيلا إلى اكتسابها، وإلا لبطلت فائدة المواعظ والوصايا، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، وإذا كان هذا ممكناً في بعض البهائم؛ فإنها بالتدريب تستجيب، وتخضع للإنسان وتستأنس كالوحشي؛ فالآدمي أولى بذلك ؛ لكن الناس في غرائزهم مختلفون، فبعضهم جبل جبلة سريعة القبول، وبعضهم جبلته بطيئة القبول، وبعضهم

في الوسط، وكلٌ لا ينفك عن أثر القبول وإن قلّ. فالتغير وارد إذا توافر لدى الإنسان الرغبة في ذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٣٧] قال الراغب: ومن منع التغير رأساً اعتبر القوة نفسها، وهو صحيح، فإن النوى محال أن ينبت منه تفاحة، ومن أجاز تغيره اعتبر إمكان نقل ما في القوة إلى الوجود، وإفساده بإهماله وهذا صحيح[٣٨]

وهاك نموذج للأخلاق الثابتة التي هي السجايا، التي لا تتغير ولا تتبدل مهما كانت الظروف والملابسات والمواقف، لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب؛ فإني بنت سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي. فقال صلى الله عليه وسلم "يا جارية هذه صفة المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق" فقام أبو بردة بن

(٣٧)[سورة الرعد: ١١]

(٣٨) انظر: فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي في: الجزء الثاني. [تابع حرف الهمزة] الحديث رقم: ٢٥١٦[ص ٥٤٨]

نيار فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال "والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق"

ونموذج آخر جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجّ عبد القيس: "إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُما اللَّهُ تَعالى وَرَسُولُهُ: الحِلْمَ وَالأناة" (٣٩)

قال القاضي عياض: فالأناءة تَربُّصُهُ حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحلم هذا القول الذي قاله الدال على صحة عقله وجودة نظره للعواقب

يؤكد هذا المعنى ما جاء عن أُمّ أَبَان بِنْت الْوَازِع بن زَارِع عن جَدّهَا زَارِع ـ وكَانَ في وَفْد عَبْد الْقَيْس ـ قالَ: "لَمّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلنَا فَنُقَبِّلُ يَدَ رَسُولِ الله ﷺ وَرِجْلَهُ وَانْتَظَرَ المُنْذِرُ الأَشَجّ حَتّى أَتَى عَيْبَتَهُ فَلَبِسَ ثَوْبَيْه، ثُمّ أَتَى النّبيّ ﷺ فقَالَ لَهُ: إنّ فِيكَ خَلّتَيْنِ يُحِبّهُمَا الله: الْحِلْمَ وَالأَنَاةَ، قالَ: يَا رَسُولَ الله أَنَا أَتَخلق بِهِمَا أَم الله جَبَلَنِي عَلَيْهِما؟ قال: بَلِ الله جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا، قال: الْحَمْدُ لله الّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلّتَيْنِ يُحِبّهُمَا الله وَرَسُولُه". (٤٠) وهذا

(٣٩) رواه مسلم (٢٥٩٣)

(٤٠) ٣٧ ـ كتاب الأدب.١٨٦٧ ـ باب قبلة الرجل، الحديث رقم: ٥٢١٦

لا يناقضه النهي عن مدح المرء في وجهه لأن ما كان من النبوة فهو وحي والوحي لا يجوز كتمه أو أن المصطفى صلى اللّه عليه وسلم علم من حال الأشج أن المدح لا يلحقه منه إعجاب فأخبره بأن ذلك مما يحبه اللّه ليزداد لزوماً ويشكر اللّه على ما منحه. وقال سفيان الثوري رحمه اللّه: مَن عرف نفسه لم يضرّه مدح الناس. لأن العقل الراجح يتسبب للحلم والأناة والتثبت في الأمور.

فإذا رُيِّضَتْ النفسُ وذللت وأدبت، وكان السلطان والغلبة للروح، جاءت الغلبة للأخلاق الفاضلة؛ مثل الحياء، الذي يزين الجوارح الظاهرة والباطنة، ومنه الوقار والحلم والأناة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (الحياء زينة) [٤١] وكذلك الأمر في بقية الخصال الطيبة مثل الصبر فقد جاء في الحديث (وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ) الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله تعالى والصبر عن معصيته والصبر أيضاً على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا، والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب، (والصبر ضياء) أَي نور قويّ. فقد قَالَ تعالى:{هُوَ الَّذِي جعل الشمس

(٤١)كنز العمال للمتقي الهندي المجلد الثالث ٥٧٦٧ و الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ٣٨٦٨

ضياء والقمر نوراً}[٤٢] ولعل المراد بالصبر الصوم. وَهُوَ لكونه قهراً عَلَى النفس، قامعا لشهواتها، لَهُ تأثير عادة فِي تنوير القلب بأتم وجه.

ولقد بعث النبي محمد ﷺ في بيئة كانت تفعل من السلوك والأخلاق ما يندى له الجبين، ومع ذلك استطاع النبي الخاتم أن يغير من أخلاقهم وسلوكهم حتى صاروا مثالا للخلق القويم والسلوك الفاضل؛ ولقد عبر جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف؛ فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات؛ وأمرنا أن نعبدالله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت: فعدد عليه

(٤٢) (سورة يونس الآية ٥).

أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك .

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم؛ فقال له النجاشي: فاقرأه علي؛ قالت: فقرأ عليه صدرا من: (كهيعص). قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلَّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون[٤٣]

(٤٣) فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي في: الجزء الرابع. حرف العين. في الحديث رقم: ٥٤٩٨

الضَعْفُ الخُلُقي دَليلٌ عَلَى ضَعفِ الإيمَان

تظاهر العقل والنقل على أن غياب الأخلاق الفاضلة في المجتمع الإسلامي سببه ضعف الإيمان؛ ذلك أن الإيمان قوة عاصمة عن الدنيا وشهواتها، دافعة إلى الآخرة وكراماتها.

ومن ثم فإنّ الإيمان القوي يلد الخلق القوي، وانهيار الأخلاق واضمحلالها يرجع إلى ضعف الإيمان؛ ولذلك نجد أن الذي ينكب عن أسار جيرانه ويرميهم بالسوء، يحكم عليه الدين حكمًا يستحقه جزاء فعله؛ عن أبي شريح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن) قيل: يا رسول الله ومن؟ قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه) جمع بائقة، وهي الداهية والظلم والشر وكل شئ مهلك أو مؤذٍ، زاد في رواية قالوا: وما بوائقه؟ قال: شره. وذلك لأنه إذا كان مضراً لجاره، كان كاشفاً لعورته، حريصاً على إنزال البوائق به؛ دل حاله على فساد عقيدته، ونفاق طويته، أو على امتهانه ما عظم الله حرمته، وهذا عام في كل جار. فينبغي للمؤمن أن يحذر أذى جاره، وينتهي عما نهى الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه وحضا العباد عليه.

فكلما ضعف الإيمان بسبب حبّ الدنيا، ونقص نور الإيمان بارتكاب المعاصي والشهوات، وذهبت هيبة سلطانه من القلوب؛ وأخرت الصلاة عن أوقاتها، وقصر في إكمالها، أدى ذلك إلى بالتالي إلى ضعف الأخلاق الفاضلة وانتشار الأخلاق النفعية بين الناس.

والبخل يدل على ضعف الإيمان وعدم الوثوق بضمان الرحمن وذلك جاذب إلى الخسران وقائد إلى دار الهوان وقيل: ومن أقبح ما في البخيل أنه يعيش عيش الفقراء ويحاسب محاسبة الأغنياء وقيل: البخل جلباب المسكنة والبخيل ليس له خليل

وكذلك الأمر عندما ترى من يقترف الذنوب غير آبه، ويعمل المعاصي غير خائف من حساب أو طامع في جزاء فاعلم أن ذلك راجع إلى صفاقة وجهه، ضعف إيمانه وغياب حيائه، جاء في الحديث: "إن الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر" وخلاصة القول: أن عدم الحياء يدل على عدم الإيمان وقلته تدل على ضعفه وكثرته على قوته وأنشدوا:

إن الحياء من الإيمان جاء به *** لفظ النبي وخير كله فيه

فليتصف كل من يرعى مشاهده *** وليس يعرف هذا غير منتبه

مستيقظ غير نوام ولا كسل *** مراقب قلبه لدى تقلبه

وبيَّن النبي ﷺ أن البعد عن الثرثرة في الكلام من كمال الإيمان وجمال الإسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ». فهذا نصّ صريح في أنه لا ينبغي أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت له مصلحته، ومتى شكّ في ظهور المصلحة فلا يتكلم. وقد قال الإمام الشافعي رحمه اللّه: إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلَّم، وإن شكَّ لم يتكلم حتى تظهر.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر قال: لا يكون المؤمن كذابا. وفي التنزيل ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (٤٤) فهذا الجنس من الناس لا يهديهم اللّه إلى الإيمان بآياته، فليس بعد الكفر ذنب، فما بالك بالملحدين المعروفين بالكذب عند الناس، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان أصدق الناس، وأبرهم وأكملهم علماً وعملاً، وإيماناً ويقيناً، معروفاً بالصدق في قومه، بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد؛

(٤٤) سورة [النحل: ١٠١]

ولهذا قال هرقل ملك الروم، لأبي سفيان: (هَلْ كُنْتُمْ تَتّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ. فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النّاسِ ثُمّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللّهِ) [٤٥] ولقد سُئل رسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جبانا؟ قال «نعم. قيل: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: نعم. قيل: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا». [٤٦]

(٤٥)صحيح مسلم. (١٧٧٣)

(٤٦) أخرجه مالك والبيهقي عن صفوان بن سليم

القِيَمُ الأخلاقيّة في رِحَابِ الإسْلامِ

أولا: القرآن الكريم

كلمة خُلُق -بضمتين- وردتْ في القرآن الكريم مرتين:

الأولي: في سورة القلم؛ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤٧] قال علي رضي الله عنه: هو أدب القرآن. وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه مما نهى الله عنه. وقيل: أي إنك على طبع كريم.

والثانية: في سورة الشعراء ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[٤٨] أي طبيعتهم وعاداتهم. قال محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد:«خلق الأولين» مذهبهم وما جرى عليه أمرهم.قال ابن عباس وغيره: أي دينهم.

الأولي: جاءت في مقام المدح، فهي معيار لما ينبغي أن يكون المسلم.

والثانية: أتت وصفًا لما هو كائن من أحوال الأمم السابقة؛ فبينت ما درج عليه الأولون من عادات ذميمة، وأخلاق قبيحة، ومذهب منحرف، ودين فاسد، وما جرى عليه أمرهم.

وفيما يلي نتناول الأمرين.

---

(٤٧)[سورة القلم :٤]

(٤٨)[سورة الشعراء: ٣٧]

الأمر الأول: أما ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من خُلُق؛ فقد أُمر النبي ﷺ أن يكون فيه أولاً قدوة وأسوة لمتبعيه؛ كما بين سبحانه في سورة القيامة ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٤٩] قال قتادة: «فاتبع قرآنه» أي فاتبع شرائعه وأحكامه. «ثم إن علينا بيانه» أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام. وفي سورة الأحزاب جاء هذا التوجيه الإلهي﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٥٠] يعني القرآن. وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية، وأمر بجهادهم ومنابذتهم، وفيه دليل على ترك اتباع الآراء مع وجود النص. والخطاب له ولأمته. وفي سورة يونس يقول سبحانه على لسان رسوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٥١]

وما أسهل أن يفسر الإنسان كتاب الله بلسانه.. لكن الأصعب أن يفسره بسلوكه وجنانه؛ فقد جاء عن سعيد بن هاشم بن عامر قال أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله صلى

(٤٩)[سورة القيامة: ١٨-١٩]

(٥٠)[سورة الأحزاب:٢]

(٥١) [سورة يونس:١٥]

اللّه عليه وسلم قالت:كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول اللّه عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥٢] قلت: فإني أريد أن أتبتل قالت: لا تفعل أما تقرأ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥٣] فقد تزوج رسول اللّه ﷺ وقد ولد له[٥٤] فقد كان مُتَمسّكاً بآداب القرآن وأوامره ونَواهيه، وما يَشْتَمل عليه من المَكارم والمَحاسن والألْطاف؛ وقد سُئلت أيضا عن خلقه عليه السلام؛ فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٥٥] إلى عشر آيات، وقالت: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال لبيك، ولذلك قال اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥٦].

ولكن لماذا وصفه اللّه تعالى بالخُلُق العظيم؟

قيل: لاجتماع مكارم الأخلاق فيه؛ يدل عليه قوله عليه السلام:

---

(٥٢) [سورة القلم :٤]

(٥٣) [سورة الأحزاب: ٢١]والأسوة: بكسر الهمزة وضمها: قدوة

(٥٤) مسند الإمام أحمد المجلد السادس حديث السيدة عائشة رضي اللّه عنها.

(٥٥) [سورة المؤمنون: ١]

(٥٦) [سورة القلم :٤]

(إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق). وهو القائل عليه السلام: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[٥٧]

وقيل: لأنه أمتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٥٨]

أقول: ولا مانع من أن يكون الأمرين معاً؛ فقد التزم أمر الله تعالى في كل أحواله في المنشط والمكره وفي السراء والضراء، واجتمعت فيه مكارم الأخلاق، فاستحق أن يوصف بهذا الوصف.

ولم يذكر خلق محمود إلا وكان للنبي -صلى الله عليه وسلم- منه الحظ الأوفر؛ وما انطوى عليه من جميل الأخلاق لم يكن باكتساب ورياضة؛ وإنما كان في أصل خلقته بالجود الإلهي والإمداد الرحمني الذي لم تزل تشرق أنواره في قلبه- ﷺ- إلى أن وصل لأعظم غاية وأتم نهاية، فقد كان أحسنَ الناسِ خُلُقاً؛ لحيازته جميع المحاسن والمكارم وتكاملها فيه، ولما اجتمع فيه من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد؛ أثنى اللّه عليه به في كتابه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥٩] فوصفه بالعظم،

(٥٧) حديث ضعيف.

(٥٨) [سورة الأعراف: ١٩٩]

(٥٩) [سورة القلم: ٤]

وزاده في المدح باستعلائه على معالي الأخلاق، واستيلائه عليها، فلم يصل إليها مخلوق، وكمال الخلق إنما ينشأ عن كمال العقل؛ لأنه الذي تقتبس به الفضائل، وتجنب الرذائل. قال الجنيد: سمي خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى.

وحقيقة الخلق في اللغة: أن ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خلقا؛ لأنه يصير كالخلقة فيه، قال الراغب: هو والمفتوح الخاء بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل للمضموم غريزي. ومن ثم فلا ينبغي للإنسان أن يتخلق بما ليس فيه؛ ففي حديث عمر: من تَخَلَّق للناس بما يَعْلَم اللّه أنه ليس نفسه شانَه اللّه. أي تكلّفَ أن يُظْهِر من خُلُقه خلاف ما يَنْطَوِي عليه، مِثْل تَصَنَّع وتَجَمَّل إذا أظْهَر الصَّنيع والجميل.

فالأخلاق إذن هي عملٌ يُعمل لا كلام يُقال، عمل مبعثه القلب لا كلام مكانه اللسان؛ يقول الله في كتابه المجيد: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٦٠]

(٦٠) [سورة الأحزاب: ٢١].

فالنبي (ﷺ) قدوتنا ومثلنا في هذه الحياة، ويوم كانت أخلاقنا عملا بما جاء في كتاب الله من مبادئ الأخلاق، وضوابط السلوك، يومها أقمنا أمة، ونمت وربت حتى كان يحج إلينا للأخذ عنا والاقتباس منا: في القاهرة ودمشق وبغداد وقرطبة والقيروان وفلسطين وبلاد اليمن، ولما باتت أخلاقنا في ألسنتنا كلاما لا في قلوبنا عملا؛ مُزقنا دولا؛ تضل حين تعدها عدا، ولا مخرج من هذه الحال إلا أن نغير ما بأنفسنا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٦١) أي لا يغير ما بهم من النعمة حتى يعملوا بالمعاصي، فيرفع الله عنهم النعم، وما أحسن ما قيل:

إذا كنت في نعمة فارعها *** فإن المعاصي تزيل النعم

ودوام عليها بذكر الإله *** فإن الإله سريع النقم

قالت زينب بنت جحش: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث)(٦٢) فإذا كثر الخبث وانتشرت الذنوب والمعاصي حتى نجد من يتجرأ على الشرع الحنيف، ولم ينكر ذلك

(٦١) [سورة الرعد: ١١]

(٦٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم: ٢٨٨٠.

أحد؛ فإن العقاب يعم الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده، كما بين سبحانه: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾. فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يجذر المعاصي لما لها من آثار سيئة على المجتمع؛ دون مجاملة لأحد مهما كانت صلته به. قال الإمام النووي: واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتركه –أي الناصح– لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوا لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها.

وأما الأمر الثاني: فإن المتأمل في مصارع القرى والقرون

السابقة يلحظ أن القرآن يشير من طرف خفي إلى أنه لو كان في هذه القرون أولو بقية يستبقون لأنفسهم الخير عند الله، فينهون عن الفساد في الأرض، ويصدون الظالمين عن الظلم، ما أخذ الله تعالى تلك القرى بعذاب الاستئصال الذي حل بهم، فإن الله لا يأخذ القرى بالظلم إذا كان أهلها مصلحين، أي إذا كان للمصلحين من أهلها قدرة يصدون بها الظلم والفساد، إنما كان في هذه القرى قلة من المؤمنين لا نفوذ لهم ولا قوة، فأنجاهم الله. وكان فيها كثرة من المترفين وأتباعهم والخانعين لهم، فأهلك القرى بأهلها الظالمين؛ قال تعالى: ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[٦٣] وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم؛ فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله، في صورة من صوره، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير؛ فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد

(٦٣) [هود:١١٦-١١٧]

فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكر، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحق عليها، إما بهلاك الاستئصال، وإما بهلاك الانحلال، والاختلال!

فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله وحده، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره، هم صمام الأمان للأمم والشعوب . . وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار ربوبية الله وحده، الواقفين للظلم والفساد بكل صوره. . إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله، واستحقاق النكال والضياع.

أما أن تجمد علي ما تفتحت عليه أعيننا من انحراف واختلاف قائلين ما قالت الأمم الخالية ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٦٤) فذلك هو الخلق المذموم الذي أهلك عادا الأولي، وثمود فما أبقى، والذي حذرنا القرآن الكريم منه في الآية التالية، حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ والقصة كما ذكرتها سورة الشعراء تُبيّن مدَى الغرور الذي أصابَ قومَ عاد

(٦٤) [الزخرف: ٢٣] أي في الملة والدين

بسبب قوة أحسادهم، وكثرة النعم التي أنعم الله بها عليهم، حتَّى أسرفوا وتجاوزوا في الظلم حدًا استحقوا به عقاب الله تعالى، وقوم عاد هؤلاء من ذراري نوح وهم من الذين نجوا معه في السفينة، وكانوا يعبدون الله وحده، ما لهم من إله غيره، وكانوا يعتقدون أنه رب العالمين؛ فلما طال عليهم الأمد، وتفرقوا في الأرض، ولعب معهم الشيطان لعبة الغواية، وقادهم من شهواتهم- وفي أولها شهوة الملك وشهوات المتاع - وفق الهوى لا وفق شريعة الله. وكانوا يسكنون بالأحقاف، وهي الكثبان المرتفعة على حدود اليمن ما بين اليمامة وحضرموت- يقول سبحانه: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ *

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٦٥)

وبين أن هذا الإهلاك سببه أو من أسبابه (الغرور) و(الإسراف) و(الظلم)

وقد ساعدهم على ذلك أنهم قوم عتاة في أجسادهم غلاظ في أفعالهم، يتجبرون حين يبطشون؛ ولا يتحرجون من القسوة في البطش؛ شأنهم شأن المتجبرين المتكبرين المغترين في كل زمان ومكان بالقوة المادية التي يملكون؛ فقد استخلفهم الله في الأرض من بعد قوم نوح، وإعطائهم قوة في الأجسام، وضخامة بحكم نشأتهم الجبلية، وإعطائهم كذلك السلطان والسيطرة؛ وقد امتن الله عليم بذلك فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦٦) أي زاد طولكم على الناس بسطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم، وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد، والأموال والجنات والأنهار، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير اللّه معه، فبعث اللّه هوداً إليهم؛ رجلاً منهم رسولاً وبشيراً ونذيراً، فدعاهم إلى اللّه وحده، وحذرهم نقمته وعذابه، فقد كان

(٦٥) [سورة الشعراء: ١٢٣-١٣٨]

(٦٦) [سورة الأعراف: ٦٩]

من حق هذا الاستخلاف، وهذه القوة والبسطة، أن تستوجب شكر النعمة، والحذر من البطر، واتقاء مصير الغابرين، وهم لم يأخذوا على الله عهداً: أن تتوقف سنته التي لا تتبدل، والتي تجري وفق الناموس المرسوم، بقدر معلوم، وذكر النعم يوحي بشكرها؛ وشكر النعمة تتبعه المحافظة على أسبابها؛ ومن ثم يكون الفلاح في الدنيا والآخرة؛ لكن القوم غرتهم قوتهم فقالوا كما حكى القرآن: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة؟ أولم يروا أن اللّه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ويبدو كذلك من قوله: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أن عادا كانت قد بلغت من الحضارة الصناعية مبلغا يذكر؛ حتى لتتخذ المصانع لنحت الجبال وبناء القصور، وتشييد العلامات على المرتفعات؛ وحتى ليجول في خاطر القوم أن هذه المصانع وما ينشئونه بوساطتها من البنيان كافية لحمايتهم من الموت، ووقايتهم من مؤثرات الجو ومن غارات الأعداء، ومن ثم سماه عبثا، ولو كان لهداية المارة، ومعرفة الاتجاه ما وصف فعلهم هذا بالعبث في قوله سبحانه: ﴿تعبثون﴾؛ فهو توجيه من الله تعالى لمن أوتي بسطة في جسده أن ينفق قوته وجهده فيما

هو خير، وتنفق البراعة في فيما ينفع الناس، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة، ويبين سبحانه أن قصد قوم عاد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة، فينكر عليهم الترف في البنيان لمجرد التباهي بالمقدرة، والإعلان عن الثراء، والتكاثر والاستطالة في البناء؛ كما ينكر غرورهم بما يقدرون عليه من أمر هذه الدنيا، وما يسخرونه فيها من القوى، وغفلتهم عن تقوى الله ورقابته.

ومن ثم يجيء التعقيب على موقفهم من عدم الاكتراث بالقيم والأخلاق التي دعاهم إليها نبيهم هود عليه السلام في كلمتين ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾، ففي كلمتين اثنتين ينتهي الأمر؛ ويطوى قوم عاد الجبارين؛ وتطوى مصانعهم التي يتخذون؛ ويطوى ما كانوا فيه من نعيم، من أنعام وبنين وجنات وعيون!

وكم من أمة بعد عاد ظلت تفكر على هذا النحو، وتغتر هذا الغرور، وتبعد عن الله كلما تقدمت في الحضارة، وتحسب أن الإنسان قد أصبح في غنية عن الله ! وهي تنتج من أسباب الدمار لغيرها، والوقاية لنفسها، ما تحسبه واقيا لها من أعدائها. . ثم

تصبح وتمسي فإذا العذاب يصب عليها من فوقها ومن تحتها، ومن حيث لا اعلم.

وبناءً علي ذلك فالأخلاق في القرآن الكريم معيار لما ينبغي أن يكون عليه الناس، وليست وصفًا لما هو كائن، وجمودًا علي هذا الكائن إلا إذا كان تيسيراً لمبادئ الأخلاق، وضوابط السلوك كما جاء في القرآن الكريم..

البُعد الأخلاقي في أركانِ الإسلام

لقد حدد الله تعالى الغاية من بعثة النبي الخاتم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾فقد كان رحمة لجميع الناس، و أمانا لكل الخلق؛ فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر والدنيا والآخرة، ولذلك قال عليه السلام: (أنا رحمة مهداة) يخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله. وقوله (مهداة) أي هدية من الله للخلق.

ولقد حدد النبي الغاية من بعثته، فقال عليه الصلاة والسلام « بُعثت لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق» فمن قبل منهجه أفلح ونجا ومن أبى خاب وخسر وندم يوم لا ينفع الندم وقال: ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ فمنهج النبي هو المنهج، وطريقه هو الطريق؛ لأنه لا يُنشد أكثر من تدعيم الفضائل وإنارة الطريق أمام أعين السائرين.

ومن ثم جاءت شعائر الدين تدريبًا عمليًا للحث على مكارم الأخلاق العملية، بعيدًا عن الشعارات الجوفاء، والنظريات الخرقاء التي ليس لها سند معين ولا هدف مبين.

ومن ذلك فريضة الصلاة؛ التي هي اتصال العبد بالله تعالى تأكيداً واهتماماً؛ صلة يستمد منها القلب قوة، وتحس فيها الروح صلة؛ وتجد فيها النفس زادًا أنفس من أعراض الحياة الدنيا؛ وهي أفضل أعمال البدن بالمحافظة عليها بشروطها وعدم ارتكاب منهياتها، ولقد كان رسول الله [وهو الوثيق الصلة بربه الموصول الروح بالوحي والإلهام] إذا حَزَبَهُ أمرٌ فزع إلى الصلاة ، لأنها تزيل الهموم والغموم قال تعالى:﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ والصلاة مجلبة للرزق حافظة للصحة دافعة للأذى مطردة للداء مقوية للقلب مفرحة للنفس مذهبة للكسل منشطة للجوارح ممدة للقوى شارحة للصدر مغذية للروح منورة للقلب مبيضة للوجه حافظة للنعمة دافعة للنقمة جالبة للبركة مبعدة للشيطان مقربة من الرحمن وبالجملة فلها تأثير عجيب في حفظ صحة القلب والبدن وقواهما ودفع المواد الرديئة عنهما وهي علم الإيمان وعماد الدين، وهي تطهر القلوب من أدناس الذنوب، وتستفتح باب علام الغيوب، وهي محل المناجاة، ومعدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها مشارق الأنوار، وتجمع من القِرَب والأعمال

ما تفرق في غيرها؛ كالطهارة وستر العورة،والتقرب من الله تعالى، وقراءة القرآن والذكر، ويمتنع فيها ما يمتنع في غيرها، وتزيد بأمور أخرى كأن يخجل المصلي ويستحيي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها ليلقى الله بها، وهي تطهره وتجرده من مساوئ الأخلاق وقبح الذنوب، كما قال الله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٦٧] فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر كما قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾[٦٨] أي المتواضعين المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته، وما يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زادًا للطريق، وريًا في الهجير، ومددًا حين ينقطع المدد، ورصيدًا حين ينفد الرصيد.

وقد خصّ الله تعالى الصلاة بالذكر لأنها أفضل عبادات البدن، كما أن الصلاة أم العبادات، قال ص:» من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدًا". ومن أقام الصلاة

(٦٧)[سورة العنكبوت: ٤٥]

(٦٨)[سورة البقرة الآية: ٤٥]

كما هي إنما أدّاها أداءً ولم يقمها . . وفرق كبير بينهما . . فهي حين تقام ذكر لله. (ولذكر الله أكبر) هكذا جاءت مطلقة؛ لأنها أكبر من كل اندفاع ومن كل نزوع، وأكبر من كل تعبد وخشوع.

والصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب؛ كما قال عليه السلام: (أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء) قالوا: لا يبقى من درنه شيء؛ قال: (فذلك مثل الصلوات الخمس؛ يمحو الله بهنّ الخطايا) خرجه الترمذي من حديث أبي هريرة.

وهي التي تفرق بين المسلمين وغير المسلمين؛ فيتميز هؤلاء عن هؤلاء بالصلاة وبالمداومة عليها، وليس هناك عمل على صفتها في إفادة التميز بين الطائفتين على الدوام، عن عَبْدِ اللهِ بنُ بُرَيْدَةَ عن أَبِيه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعَهْدُ الّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».أي صورة وتشبها بهم إذ لا يتميز إلا المصلي وقيل: يخاف عليه أن يؤديه إلى الكفر وقيل: كفر من تركها جحدا.

ومن ثم تتضح حقيقة الصلاة في الإبعاد عن الرذائل وسوء القول وسوء العمل، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "قال

الله تبارك وتعالى: ليس كل مصل يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي،وقطع نهاره في ذكري،ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب،ذلك نوره كنور الشمس أكلأه بعزتي وأستحفظه ملائكتي أجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حلماً ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة».[٦٩]

ومن ذلك أيضا فريضة الصوم، فليس المقصود من الصوم حرمان البدن من الطعام والشراب وغير ذلك بعض الوقت، ولكن الهدف هو حرمان النفس من شهواتها ونزواتها وخطراتها؛ حتى تطمئن لربها، وتخضع لخالقها سبحانه القائل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٧٠] لأن الصوم فيه تزكية للبدن، وتضييق لمسالك الشيطان، ولهذا ثبت في الصحيحين: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج.. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه

(٦٩)كنز العمال للمتقي الهندي المجلد الخامس عشر الحديث رقم:٤٣٥٧٣ ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي المجلد الثاني الحديث رقم:٢٨٨٩.

(٧٠)[البقرة: ١٨٣].

له وجاء»، والصوم المطلوب فيه سكون النفس الأمارة بالسوء، وكسر شهوتها عن الفضول، وبسبب الصوم يصفو القلب ويحصل العطف على الفقراء؛ لأن الصائم لما ذاق الجوع حيناً من الدهر تذكر به مَنْ هذا حاله فرق قلبه وأنفق مما استخلفه الله فيه من مال وغيره، ومن ثم فرض الله تعالى الصوم لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، عن أبي هُريرةَ أنّ النبيّ ﷺ قال «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزّورِ والعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للّه حاجَةٌ بأَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ»[٧١]. والحديث دليل على تحريم الكذب والعمل به وتحريم السفه على الصائم، وهما محرمان على غير الصائم أيضاً، إلا أن التحريم في حقه آكد، كتأكد تحريم الزنا من الشيخ[٧٢] الخيلاء من الفقير، فمن فعل ذلك استحق المقت وعدم قبول طاعته.

قال القاضي: المقصود من الصوم كسر الشهوة وتطويع الأمارة، فإذا لم يحصل منه ذلك لم يبال بصومه ولم ينظر إليه نظر عناية، فعدم الحاجة عبارة عن عدم الالتفات والقبول، وكيف يلتفت إليه

(٧١) صحيح البخاري، [١٨٠٤-٥٧١٠]

(٧٢) (المقصود بالشيخ هنا كبير السن كما قال أبي أُمَيَّةَ الحَنَفي: زَعَمتْني شَيْخاً ولَسْتُ بِشَيْخٍ * إنَّما الشيخُ مَنْ يَدِب دَبِيبا)،

والحال أنه ترك ما يباح من غير زمان الصوم من الأكل والشرب، وارتكب ما يحرم عليه في كل زمان انتهى..

فمن السنة في الصيام الإمساك عن الكلام القبيح حتى وإن كنت صاحب حق؛ قال عليه الصلاة والسلام: (إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم).

والزكاة هي طهرة للنفس من دنس البخل والشح، وذلك بإخراج الحق لمستحقه، والإنفاق في سُبُل الخير وطرق البر، فمتى جاد الإنسان بالعطية عن طيب قلب ورضا نفس؛ طهر قلبه وزكت نفسه وعظم سلطانه وانفتح له باب إمداد برزق أعلى، وإن بخل واستغنى تضاءل أمره وانقطع عنه المدد من الأعلى، ومن ثم كانت الزكاة من أمهات الأعمال التي تغرس مشاعر الحنان والرأفة والمحبة بين الناس، وتنشر الود والتآخي بين الأغنياء والفقراء، وتوطد العلاقات بيت شتى الطبقات، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٧٣) فكأن الخارج من المال يطهر النفس من

(٧٣) [التوبة: ١٠٣]

أدران النقص وتبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين، روي (إن الصدقة لتقع في كف الرحمن قبل أن تقع في كف السائل فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله والله يضاعف لمن يشاء).

قال علماؤنا رحمة الله عليهم في تأويل هذه الأحاديث: إن هذا كناية عن القبول والجزاء عليها؛ كما كنى بنفسه الكريمة المقدسة عن المريض تعطفا عليه بقوله: (يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟....) الحديث. [٧٤] والمقصود: أي وجدت ثوابي وكرامتي في عيادته، أضاف المرض إليه، والمراد العبد تشريفاً له وتقريباً، وخص اليمين والكف بالذكر إذ كل قابل لشيء إنما يأخذه بكفه وبيمينه أو يوضع له فيه؛ فخرج على ما يعرفونه، والله جل وعز منزه عن الجارحة.

والزكاة مأخوذة من زكا الشيء إذا نما وزاد. يقال زكا الزرع والمال يزكو، إذا كثر وزاد ورجل زكي أي زائد الخير وسمي الإخراج

(٧٤) (صحيح مسلم: ٢٥٦٩)

من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينمو بالبركة أو بالأجر الذي يثاب به المزكي ومن ثم كان أخذ الصدقة منهم تطهير لهم وتزكية، وفي دعاء الرسول ص لهم طمأنينة وسكن.

وفي مناسك الحج تسمو مكارم الأخلاق وتعلو قيم التسامح على أهواء النفس وحظوظها، قال تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ ﴾(٧٥) وقد ثبت عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ : «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فقد نهى عن كل ما هو قبيح شرعًا وعقلاً مثل الرفث والفسوق والجدال لما قد يؤدي إليه من شحناء بين الناس؛ قال رسول اللّه ﷺ : «من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه» فقد نهاهم عن إيتان القبيح قولاً وفعلاً.

ولأن فريضة الحج تأتي في الأشهر الحرم، نجد أن الشارع سبحانه خصها بمزيد من التعظيم والكرامة تعويدا وتدريبا للناس على التزام مكارم الأخلاق على مدار الدهر ومرور الأيام، قال

(٧٥)[البقرة: ١٩٧]

تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ (٧٦) فهناك اتصال بين ناموس الكون (٧٧) وسلوك الإنسان، أي لا تظلموا أنفسكم في هذه الأشهر الحرم التي يتصل تحريمها بناموس كوني تقوم عليه السماوات والأرض؛ ذلك الناموس هو أن اللّه هو المشرع للناس كما أنه هو المشرع للكون؛ أي لا تظلموا أنفسكم بإحلال حرمتها التي أرادها اللّه لتكون فترة أمان وواحة سلام، فتخالفوا عن إرادة اللّه، وفي هذه المخالفة ظلم للأنفس بتعريضها لعذاب اللّه في الآخرة، وتعريضها للخوف والقلق في الأرض، حين تستحيل كلها جحيماً حربية، لا هدنة فيها ولا سلام، فقد خص الله تعالى الأربعة الأشهر الحرم بالذكر، ونهى عن الظلم فيها تشريفا لها وإن كان منهيا عنه في كل الزمان، إلا أنه في الأشهر الحرم آكد - ولهذا قال: ﴿منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ فللخالق تعالى أن يفعل ما يشاء، ويخص بالفضيلة ما يشاء، ليس لعمله علة ولا عليه حجر، بل يفعل

(٧٦) (التوبة: ٣٦)

(٧٧) الناموس: الموضوع

ما يريد بحكمته، وقد تظهر فيه الحكمة وقد تخفى.

وفي خطبة عرفات قال النبي: يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم؟ وفي أي يوم أنتم؟ وفي أي بلد أنتم؟ قالوا: في يوم حرام، وشهر حرام، وبلد حرام.

قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى أن تلقونه، ثم قال: اسمعوا مني تعيشوا؛ ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا؛ إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه، ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة، وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب؛ كان مستعرضا في بني سعد، فقتلته هذيل، ألا إن كل رباً في الجاهلية موضوع؛ وإن الله قضى أن أول رباً يوضع ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، ثم قرأ: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم، ألا لا ترجعوا

بعدي كفارًا يضرب بعضُكم رقاب بعض، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون، ولكنه في التحريش بينكم، واتقوا الله في النساء؛ فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإن لهن عليكم حقا، ولكم عليهن حق؛ أن لا يوطئن فرشكم أحداً غيركم، ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه، فان خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وبسط يده وقال: ألا هل بلغت؟! ألا هل بلغت؟! ثم قال: ليبلغ الشاهد الغائب؛ فانه رب مبلغ أسعد من سامع.

الفصل الثاني
الأسس التي تقوم عليها
القيم الأخلاقية في الرياضة

وفيه:

تحقق العبودية الخالصة لله تعالى

صياغة شخصية الفرد المسلم

تحقيق الخير للبشرية من خلال مقاصد الشريعة

تحقيق التعارف والتآلف بين البشر.

تمهيد

لا شك أن القيم التربوية الإسلامية تهدف إلى رعاية الإنسان في جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية واللغوية والوجدانية والاجتماعية والدينية، وتوجهها نحو الصلاح والوصول بها إلى الكمال، وذلك على حد قول القائل: (٧٨)

يا خادمَ الجسمِ كم تشقى بخدمته *** لتطلبَ الربحَ في ما فيه خُسْرانُ

أقبلْ على النفسِ فاسْتَكْمِلْ فضائلها *** فأنتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ

وهذه القيم تقوم على أسس ثابتة واضحة، تحقق للإنسان إنسانيته ككائن حظي بالتكريم من الله عز وجل، هذا التكريم الذي تجسد بمنحة العقل وأمانة الاستخلاف في الأرض ويعيش في ظلال طاعة الله وحمل النفس على تنفيذ مراده في هذا الكون؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٧٩)

وهذا من تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم؛ فقد خلقهم على

(٧٨) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قَبّش في: الباب الخامس: باب الجيم. -٨- الجسم والبدن، والقائل هو: أبو الفتح البستي

(٧٩) [سورة الإسراء ٧٠]

أحسن الهيئات وأكملها، كقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ فهو يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية. قال القرطبي: وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتحمل بإرادته وقصده وتدبيره. وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس، وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم؛ لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان، ويلبسون الثياب ويأكلون المركبات من الأطعمة. وغاية كل حيوان يأكل لحما نيئا أو طعاما غير مركب.

تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى

ومن أبرز هذه الأسس التي سعى الإسلام إليها تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى في حياة الإنسان على مستوى الفردي والجماعي؛ بما يعود على النفس بالخير والعافية؛ فهو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٨٠) والعبادة هنا عبارة عن توحيده والتزام شرائع دينه، والسير على النهج الذي رسمه الشرع لتحقيق أقصى درجات الكرامة للإنسان في الأرض، وأصل العبادة الخضوع والتذلل والاستكانة. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٨١) والمقصود بالعبادة معرفة الله تعالى والتوجه إليه بالطاعة والأعمال الصالحة، قال مجاهد: إلا ليعرفوني. قال الثعلبي: وهذا قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لما عُرِف وجوده وتوحيده.

وتحقيق العبودية الخالصة لله تعالي في الوسط الرياضي لها ابعد الأثر حتى لا يغتر اللاعبُ ولا يأخذه العجب فيطغي.

(٨٠) [البقرة: ٢١]

(٨١) [الذاريات ٥٦].

صياغة شخصية الفرد المسلم

ومن هذه الأسس: صياغة شخصية الفرد المسلم ؛ ولا شك أن قيام الإنسان بمهامه المختلفة لعمارة الكون وفق مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية بهدف صياغة شخصية الفرد المسلم تحقيقا لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٨٢) فإن ذلك يقوم على نسق متكامل من الأسس التي تغذي بناء تلك الشخصية في جميع أبعادها المتفاعلة، بحيث تنهض بمهامها على الوجه الأكمل؛فليست العبرة من ممارسة الرياضة بناء العضلات بقدر ما هو مطلوب من بناء القدرات كعامل أساسي في بناء وصياغة شخصية المسلم الرياضي.

ولقد جاءت سورة العصر لتجسد القيم التربوية الإسلامية في صورتها الفعلية القائمة على الإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

(٨٢) والآية من سورة [هود: ٦١]

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٨٣]. فلقد رسمت تلك السورة الإطار المتكامل لحركة الإنسان وقيامه بعمارة الحياة.

يؤكد أمير الشعراء أحمد شوقي هذا المعنى بقوله:

صلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مرجعُه *** فقوِّم النفسَ بالأخلاقِ تَسْتَقِم

والنفسُ من خيرِها في خيرِ عافيةٍ *** والنفسُ من شَرِّها في مرتع وخمِ[٨٤]

(٨٣) (العصر : ١-٣)

(٨٤)مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قَبَّش : الباب السابع: باب الخاء. -٣- الخلق والأخلاق

تحقيق الخير للبشرية من خلال مقاصد الشريعة في الحفاظ على الصحة

ومن هذه الأسس التي يرمي إليها الإسلام تحقيق الخير للبشرية من خلال مقاصد الشريعة في الحفاظ على الصحة والعافية والحفاظ على النفس البشرية.

يزيد العلماءُ الأمرَ وضوحًا ببيانِ هذه القيم الإسلامية ووضعها في إطارها الصحيح والصريح عند الحديث عن الكليات الخمس (الدين والنفس، والعقل، والعرض، والمال) وهو ما اصطُلِح على تسميته بمقاصد الشريعة هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة وأثبتتها في الأحكام وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان.

وهذه المصالح مرتبة،فحفظ الدين مقدم على حفظ النفس،وحفظ النفس مقدَّم على حفظ المال وهكذا؛فشرع الجهاد بالنفس للحفاظ على الدين،وشرع بذل المال للتداوي حفاظاً على النفس،وهكذا دواليك

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي: فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة[٨٥]

يقول أبو إسحاق الشاطبي وهو يتحدث عن تلك الكليات: (إن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها أن تكون ضرورية ، والثاني أن تكون حاجية، والثالث أن تكون تحسينية.

فأما الضرورية فمعناها: أنه لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين.

وأما المصالح الحاجيَّةَ: وهي التي يحتاجها الناس لتأمين معاشهم بيسر وسهولة، وحيث لم تتحقق واحدة منها أصاب الناس مشقة وعسر.

وأما المصالح التحسينية، وهي الأمور التي يقتضيها الأدب والمروءة، ولا يصيب الناس بفقدها حرج ولا مشقة، ولكن الكمال

(٨٥) شرح المعتمد في أصول الفقه، د. محمد الحبش: المقدمة . مقاصد الشريعة

والفطرة يجدان فقدها، وأعتقد أن ممارسة الرياضة بهذه القيم الخلقية والآداب الإسلامية تعد من المصالح التحسينية إن لم تكن من المصالح الحاجية؛ خاصة بعدما انتشرت الوسائل الداعية إلى راحة الناس مما كان لها أكبر الأثر في ظهور الأمراض وضعف الأبدان.

وقال الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين) [٨٦]: إن أمهات محاسن الأخلاق هي هذه الفضائل: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، وباقي فروعها، ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى.

وهذه الأهداف في مجموعها أشارت إليها السنة فيما جاء عَنِ المُطَّلِب بن حَنطَب: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: « مَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا أَمَرَكُم اللَّه به إلاَّ وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ به، ولاَ تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا نَهَاكُم اللَّه عَنْهُ إلاَّ وَقَدْ نَهَيْتُكُم عَنْهُ، وإنّ الرَّوح الأمِينَ قَدْ نَفَثَ في رُوعِي أنَّه لاَ تمُوت

(٨٦) إحياء علوم الدين جـ٣ ص ٥٩طبع الريان للتراث

نَفْس حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَها فأَجملُوا فِي الطَّلَبِ» [٨٧] وجاء في صحيح مسلم: [٨٨] كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ. وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ. فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ».

(٨٧) كنز العمال للمتقي الهندي الحديث رقم: ٩٣١٦- المجلد الرابع. و مسند الإمام الشافعي الحديث رقم: ٦٧٣- (الجزء الثاني.

(٨٨) صحيح مسلم ١٣٣٧

تحقيق التعارف والتآلف بين البشر

وتحقيق التعارف والتآلف بين البشر يعد من أبرز ما يميز دعوة الإسلام؛ فالغاية من الخلق ليست التناحر أو الخصام، إنما هي التعارف والتآلف والوئام، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٨٩] ولا شك أن ممارسة الرياضة والتقاء الشباب في بلاد مختلفة ومناسبات شتى تخلق هذا النوع من التقارب والتعارف، ومن ثم ندرك أن الله تعالى جعل هذه الشعوب والقبائل ليعرف الناس بعضهم بعضا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لأحد على الآخر، قال رسول الله ﷺ: "إِنّ اللّٰهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ.[٩٠] وقال: « أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد

(٨٩) سورة الحجرات: ١٣.

(٩٠). صحيح مسلم. (٢٥٦٤).

ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ - قالوا نعم قال - ليبلغ الشاهد الغائب». ولعلي رضي الله عنه في هذا المعنى وهو مشهور من شعره:

الناس من جهة التمثيل أكفاء *** أبوهم آدم والأم حواء

نفس كنفس وأرواح مشاكلة *** وأعظم خلقت فيهم وأعضاء

فإن يكن لهم من أصلهم حسب *** يفاخرون به فالطين والماء

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم *** على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه*** وللرجال على الأفعال سيماء

وضد كل امرئ ما كان يجهله *** والجاهلون لأهل العلم أعداء

فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، تنوع لا يقتضي النزاع أو الشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف، والوفاء بجميع الحاجات؛ بل هو آية من آيات الله تعالى لا يراها إلا الذين يعلمون،

قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾(٩١)

فليس للجنس أو اللون أو اللغة أو الوطن أو سائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله؛ إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس؛ إنه ميزان التقوى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان، والكريم حقا هو الكريم عند الله، وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض؛ وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للشعوبية، والعصبية للون، عن حذيفة رضي الله عنه قال:، قال رسول اللّه ﷺ: «كلكم بنو

(٩١) (سورة الروم:٢٢).

آدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على اللّه تعالى من الجعلان»

بل إن الإسلام دعا إلى تعلم الأنساب حتى يتم التعارف والتآلف بين الخلف، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر»

الفصل الثالث

أهـدَافُ القِيـم الأخـلاقيّة فِي الـتّـربية الرّيـَـاضيّة

وفيه :

نبذ الأخلاق المذمومة في ممارسة الرياضة

إثبات الأخلاق المحمودة في ممارسة الرياضة

أهدَافُ القِيم الأخلاقيّة
فِي التّربية الرّيَاضيّة

تمهيد

الرياضية البدنية – في عرف الإسلام – لا تؤتي ثمارها المرجوّة إلا إذا صحبتها رياضة رُوحيّة وتربية أخلاقيّة، وإذا كانت الرياضةُ في الإسلام وسيلةً من وسائل اللّهو المباح، فإنّ المسلم لا ينسَى ولا يتناسَى ثوابت دينه وقيمه وأخلاقه التي تربَّى عليها وتعلمَها من علمائه وشيوخه؛ في المسجد وفي المدرسة ومن الأسرة؛ فالمسلم ينبذ العنف والتعصب الممقوت، فلا تدفعه فرحة الانتصار إلى الخروج عن حدود الأدب واللياقة، كما أن الهزيمةَ لا تجعله يسخط على قدر الله عز وجل، أو أن يتلفظ بألفاظ لا تليق به كمسلم؛ فالقَدَر قد يُخبِّئ للإنسان ما يَسُرُّه، وقد تكون الجولات المستقبَلة في غير صالح الفائز الآن، وليس من طبيعة المسلم أن يشمت بالآخرين؛ كما لا يحب أن يشمت به أحد، فيجب عليه أن يُحِبّ للناس ما يُحبُّه لنفسه ويَكره لهم ما يكرهه لنفسه.

ولا شك أن هناك ارتباطا وثيقا بين خصائص الإنسان الجسمية وبين أخلاقه وسلوكه وسماته النفسية، وشريعة الإسلام تحث أتباعها على التقوّي بالرياضة البدنية، ويؤكد الرسول الكريم ﷺ على أن "المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللَّهِ تَعالى مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ"(٩٢). فالجسم القوي أقدر على أداء التكاليف الدينية والدنيوية من الجسم الضعيف، وتعد الرياضة من أكثر المجالات التى تتطلب شحذ كل قوى وطاقات الفرد الرياضى لكى يصل إلى المستويات العالية.

وفي الآونة الأخيرة اتسعت رقعة الاهتمام العالمي بالرياضة في شتى الميادين، وبات من الضروري الحديث عن أهمية» القيم الأخلاقية" في "التربية الرياضية"؛ إذ إن الرياضة لم تَعُد مجرد ترفيه ولياقة بدنية واستعراض عضلات وشهرة بين الناس؛ بل إن هناك أبعادًا أخرى يجب ألا تغيب عن أذهاننا أثنا ممارسة الألعاب المختلفة، فقد رأينا كثيرًا عن الرياضيين البارزين فقدوا عرشهم الرياضي وخسروا رصيدهم المحفوظ في قلوب محبيهم

(٩٢). صحيح مسلم ٤/٢٠٥٢

لسوء سلوكهم، وضياع أخلاقهم؛ وذلك لأنهم اعتبروا أن المهارة البدنية والموهبة الرياضية وحدهما كافيان للنجاح في الرياضة؛ وكأنّ اللياقة البدنية يمكن أن تكون بمعزل عن اللياقة الروحية والأخلاقية؛ متناسين أن الثمرة المرجوة من ممارسة الرياضة البدنية هي الوصول إلى الترابط الاجتماعي والأخلاقي.

نَبْذ الأخلاقِ المذمُومة في مُمَارسة الرّياضة

ومن ثم فإن هناك أخلاقاً محمودة حثّ عليها الإسلام ودعا إليها، وهناك أخلاق مذمومة نفّرَ منها وحذّرَ من عواقبها.

من ذلك الدعوة إلى التحزُّب الممقوت الذي يفرّق بين الأصدقاء، ويباعد بين الأحباب، ويثير النِّزاع والخلاف، وأكبر مثال على ذلك - في العصر الحديث- موضوع الألتراس الذي انتشر بين الأندية وفي المحافظات وأخذ أشكالا مختلفة، ورفع شعارات متباينة؛ حتى إن الألتراس الواحد انقسم إلى عدة مجموعات كل منها يرفع شعارًا وفكرًا يختلف عن الآخر في هيئته وأهدافه وأسلوبه.

ومن الأخلاق المذمومة التعصب لشخص أو لناد أو للعبة بعينها أو لرمز أيّاً كان هو؛ ومما يؤكد هذا المعنى ما جاء في رياضة (مسابقته صلى الله عليه وسلم بين الإبل) أن أعرابيّا سبق بقَعوده ناقة النبيّ صلى الله عليه وسلم التي كانت لا تُسبق، ولما شقَّ ذلك على المسلمين تمثلت الرّوح الرياضيّة الصحيحة عند النبيِّ - ﷺ - فقال:«إن حَقًّا على الله ألاَّ يرفع شيئًا من الدُّنيا إلا وَضَعه" وذلك ليهدئ من

ثائرة المتحمسين له.وفي رواية البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ لاَ تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا فَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وُجُوهِهِمْ (يعني من غضب) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ! قَالَ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرْتَفِعَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ إِلاَّ وَضَعَهُ»(٩٣).

ومن الأخلاق المذمومة عند الخصومة والمنافسة استخدام الألفاظ النابية أو العبارات الجارحة؛ عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات عند الله يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش والتفحش، وإياكم والشح فإنه دعا من قبلكم فاستحلوا محارمهم وسفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام، وإن أحسن الناس إسلاما أحسنهم خُلُقا.(مسند الإمام أحمد. حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.) ولأن الحش والتفحش (قال في النهاية: الفحش هو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا، وكل خصلة قبيحة

(٩٣) صحيح البخاري الجزء الرابع ٣٨ - باب: التواضع الحديث ٦١٣٦

من الأقوال والأفعال) من خِصال المنافقين، ففي حديث البخاري ومسلم: "أربع مَن كنّ فيه كان مُنافقًا خالصًا ومن كانت فيه خَصلة منهنّ كان فيه خَصلة من النّفاق حتّى يدعَها: إذا اؤتمن خان وإذا حدَّث كَذَب وإذا عاهَد غَدَر وإذا خاصَم فَجَر" وبذلك يتضح أن الإسلام لا يرضَى الانحراف عن هذه الآداب الرفيعة والقيم السامية في ممارسة الرياضة؛ لأن الدين الإسلامي يرفع النفوس ويربيها قبل أن يقوي الأبدان ويبنيها؛ يقول ابن القيم : ورياضة النفوس بالتعلم والتأدب، والفرح والسرور، والصبر والثبات والأقدام، والسماح وفعل الخير، ونحو ذلك: مما ترتاض به النفوس. ومن أعظم رياضتها: الصبر والحب والشجاعة والإحسان فلا تزال ترتاض بذلك شيئا فشيئا، حتى تصير لها هذه الصفات هيأت راسخة، وملكات ثابتة. (٩٤)

فالمسلم لا يرضى أن يمارِس الرياضة بشكل يؤذِي الآخرين أو أن يسبب لهم قلقا، كلعب الكرة في الأماكن الخاصّة بالمرور أو

(٩٤) ص: ٣٠٤ الطب النبوي تأليف الإمام الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية حققه وعلق عليه د عبدالمعطي أمين قلعجي ط ثانية ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م

حاجات الناس وأسواقهم، أو في أوقات ينبغي أن تُوفَّر فيها الراحةُ للمحتاجين إليها (والإسلام نَهى عن الضَّرر والضِّرار) [٩٥]

كما يأبى المسلم أن يزاول ألعاباً لا تتفق مع دينه وأخلاقه بسبب ما يترتب عليها من انكشاف للعورة أو ارتكاب لمحرم، أو فعل شيء لا يَليق به ولا يتناسب مع تكوينه ومهمّته ورسالته في الحياة.

كما ينبغي للمسلم أن يفهم – فقه الأولويات- حرصا على أن يقدم الأهم على المهم، والأحسن على الحسن، ومن ثم فهو يدك جيدا أن ممارسة الرياضة لا تلهيه عن الأعمال الجسام الملقاة على عاتقه، ولا تكون سببا في قطيعة الرحم أو إفساد العلاقات مع الآخرين.

(٩٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٧٦/٩) ورواه مالك في الموطأ كتاب الأقضية باب القضاء في المرفق وبرقم (٣١).

إثبات الأخلاق المحمودة في ممارسة الرياضة

ومن الأخلاق المحمودة في التربية الرياضية روح المرح والمداعبة؛ فقد كان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة، دائم البشر؛ يداعب أهله؛ ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول اللّه ﷺ فسبقته؛ وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال: «هذه بتلك»[٩٦]

فالإسلام يهدف إلى حياة كريمة للناس جميعا؛ ليعمّ الأمن والأمان، ويتمّ التعارف في سلام، وذلك من خلال لقاءات رياضية كريمة تقوم على التعارف والمودة والمحبة؛ لا يعكر صفوها شيء ولا تخرج عن كونها لقاءات تنشط العلاقات بين التاس كما تنشط البدن؛ فعَن ابنِ عُمَرَ: «أَنّ رَسُولَ اللّه (ﷺ) خَطَبَ النّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكّةَ "فَقَالَ يَا أَيّهَا النّاسُ إنّ اللّه قَد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبيّةَ الجَاهليّةِ وتَعَاظُمَهَا بَآبَائِهَا، فالنّاسُ رَجُلانِ: رَجُلٌ بَرّ تَقيّ كَرِيمٌ عَلَى اللّه وَفَاجِرٌ شَقِيّ هَيّنٌ عَلَى اللّه. وَالنّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللّه آدَمَ مِنَ التّرَابِ قَالَ

(٩٦) رواه أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح.

اللّه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّه أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٩٧)»، عن حُذَيْفَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه (ﷺ): "لا تَكُونُوا إِمّعةً! تَقُولُونَ: إِن أَحْسَنَ النّاسُ أَحْسَنّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ اسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا".

وفي حالة ما إذا أساء إليك أحد أو خرج عن المألوف والمعروف فإن عليك أن تلتزم بخلق العفو الصفح عله يرجع عن جهله وسوء أدبه؛ قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٩٨) قال ابن جرير: أمر اللّه نبيه صلى اللّه عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وبالإعراض عن الجاهلين، وذلك وإن كان أمراً لنبيه صلى اللّه عليه وسلم فإنه تأديب لخلقه .

وقال قتادة في الآية: هذه أخلاق أمر اللّه بها نبيه ﷺ ودله عليها.

وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى؛ فسكبه في بيتين فيهما جناس فقال:

خذ العفو وأمر بعرف كما *** أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولنْ في الكلام لكل الأنام *** فمستحسن من ذوي الجاه لين

(٩٧) سورة الحجرات/١٣.

(٩٨) سورة الأعراف/١٩٩.

وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله؛ أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه[٩٩]

هذا من باب الحث على مكارم الأخلاق كقوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[١٠٠] قال ابن عباس: أي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك، وعنه أيضا: هو الرجل يسب الرجل فيقول الآخر إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك، وكذلك يروى في الأثر: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال ذلك لرجل نال منه.

وفي رواية عنه أي (ابن عباس رضي الله عنهما) قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم.

---

(٩٩) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: الجزء ١٥ سورة فصلت. الآية: ٣٣ - ٣٦

(١٠٠) فصلت/ ٣٤.

الباب الثاني

أثر ممارسة الرياضة البدنية على الإنسان

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أثر ممارسة الرياضة في الحفاظ على الصحة والتفوق الرياضي.

الفصل الثاني: الرياضة وتنمية العلاقات الاجتماعية.

الفصل الأول

أثر ممارسة الرياضة في الحفاظ على الصحة والتفوق الرياضي.

- الْحَرَكَةُ هي عِمَادُ الرِّيَاضَة.
- شريعة الإسلام تحث على الحركة
- أثر القيم الأخلاقية في التفوق الرياضي.

الْحَرَكَةُ هي عِمَادُ الرِّيَاضَة

مما لا ريب فيه أن الحركة ليست عماد الرياضة فحسب؛ بل هي عماد الحياة السليمة، وركيزتها الحيوية، وتبعًا لهذا فإنّ عدم الحركة يؤدي إلى الخمول المفضي إلي تعطيل الجسم عن ممارسة حياته الفطرية، ولعل الإمام الشافعي- ضي الله عنه- قد أدرك أن الحركة هي روح الحياة، وهي سبب في راحة الإنسان بعد تعبه؛ فبالسفر والنصب يجد الإنسان لذة العيش؛ تمامًا كتدفق الماء في مجراه الطبيعي؛ فلو وقف عن الحركة أصابه الفساد، وتراكمت عليه القاذورات، وأصبح مصدرًا للخطر، ونشر الأمراض، ومظهرًا للعفن، والرائحة الكريهة.

ولذا قال الإمام الشافعي[١٠١] :

سافرْ تجدْ عوضاً عمن تفارقَه *** وانصبْ فإن لذيذَ العيشِ في النصبِ

ما في المقامِ لذي لبٍ وذي أدبٍ *** معزةٌ فاترك الأوطانَ واغترب

إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يفسدُه *** إن سالَ طابَ وإن لم يجرِ لم يطبِ

(١٠١) الإمام الشافعي وقيل البحتري أو عمارة اليميني انظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قَبِّش في: الباب التاسع عشر: باب الغين. -٣- الغريب والاغتراب.

فحركة الماء ضمان لسلامته، وحركة الجسم ضمان لقوته، وحويته، ونشاطه، وكمال فتوته، وجمال جوارحه وجوانحه، وحياته المتجددة، ومن هنا فقد اهتم الإسلام بالرياضة، وحث عليها، وأمر الناس بممارستها؛ والحرص عليها وذلك لفوائدها الحتمية ومنافعها العظيمة ومزاياها الكثيرة.

وقد ذكر ابن القيّم في كتابه الطب النبوي عند الكلام على الرياضة، أن الحركة[١٠٢] هي عماد الرياضة، وهي تخلِّص الجسم من رواسب وفضلات الطعام بشكل طبيعي، وتعوِّد البدن الخِفّة والنشاط وتجعله قابلا للغذاء وتُصلِّب المفاصل وتقوِّي الأوتار والرّباطات، ويؤمَن جميع الأمراض الماديّة وأكثر الأمراض المِزاجية، إذا استُعمل القَدْر المعتدِل منها في دقّة وكان التدبير يأتي صوابًا وقال: كل عضو له رياضة خاصّة يَقوَى بها، وأما ركوب الخيل ورمي النِّشاب[١٠٣] والصراع والمسابقة على الأقدام فرياضة للبدن كله،

(١٠٢) في لسان العرب: الحَرَكة: ضد السكون، حَرُك يحْرُك حَرَكةً وحَرْكاً وحَرَّكه فتَحَرَّك، قال الأَزهري: وكذلك يَتَحَرَّك،

(١٠٣) والنُّشَّابُ: النَّبْلُ، واحدتُه نُشَّابة. لسان العرب نشب ص:٧٥٧

وهي قالعة لأمراض مُزمنة كالجذام والاستسقاء والقولنج[١٠٤]. [١٠٥]

وكل ما يتحرك على الأرض يسمى دابة؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء﴾[١٠٦] مشتقة من الدبيب وهو الحركة الجسمانية. واسم (دابة) تقع على جميع ما دب؛ وقال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[١٠٧] خص بالذكر ما في الأرض دون السماء لأنه الذي يعرفونه ويعاينونه.

وفي الحركة وتغيير المكان دفعٌ للسهو أو النّوم؛ جاء في السنة النبوية: عن نافع عن ابن عُمَر عن النبيّ ﷺ قال "إذا نَعسَ أحدُكُم يومَ الجُمعَةِ فَلْيَتَحَوّلْ من مجلسه (ذلك)". (فليتحول) أي فلينتقل إلى محل آخر؛ والحكمة في الأمر بالتحول أن الحركة تذهب النعاس.

---

(١٠٤) (القولنج) بضم القاف وفتح اللام وهو تعقد الطعام في الأمعاء فلا ينزل، وقيل : مَرَضٌ مِعَوِيٌّ مُؤْلِمٌ، يَعْسُرُ معه خُروجُ الثُّفْلِ والرِّيح. راجع: فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي ص ٩٧ والقاموس المحيط، للإمام الفيروزآبادي وفقه اللغة، لأبي منصور الثعالبي.

(١٠٥) الطب النبوي ط دار التراث تأليف الإمام الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية حققه وعلق عليه د عبدالمعطي أمين قلعجي ط ثانية ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م

(١٠٦) سورة النور/٤٥.

(١٠٧) سورة هود/٦.

وزكاة البدن الحركة فعن أبي ذرّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يصبح على كلِّ سلامى[١٠٨] من ابن آدم صدقةٌ"[١٠٩] (المراد به كل عظم ومفصل يعتمد في الحركة، ويقع به القبض والبسط).

إن الحركة الدائبة تعود البدن الخفة والنشاط، وتجعله قابلا للغذاء، خاصة إذا استعمل القدر المعتدل منه في وقته المناسب.

شريعة الإسلام تحث على الحركة

وكذلك الأمر بالنسبة لأركان الإسلام وشرائعه نجدُ أنها تأمرُ الإنسانَ بالحركةِ والضرب في الأرض، والسعي وبذل الجهد، والدعوة إلى قوة البدن وسلامته من الأمراض والأوبئة.

وقد حث القرآن عل نقل الخطا إلى المساجد واعتبر ذلك من الكفارات كما في حديث أبي هريرة «ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، ونقل الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»ثلاث مرات»[١١٠]

(١٠٨) السُّلاَمَى بضم السين وتخفيف اللام: أحدُ مفاصل أعضاء الإنسان، وجمعه: سلاميات بضم السين وفتح الميم وتخفيف الياء

(١٠٩) سُنَنُ أبي دَاوُد،: الجزء الثاني. باب في إماطة الأذى عن الطريق. في الحديث رقم: ٥٢٤٣.

(١١٠) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

فإذا أضفنا إلى ذلك المشي في رواح الإنسان للمسجد لأداء الصلاة في مواقيتها فإننا بذلك نضمن حداً أدنى للياقة العضلية للإنسان تكفل قدرا مناسبا من الصفات والقدرات البدنية كالمرونة والمطاطية العضلية، والتوافق العضلي العصبي المتمثل في أداء أركان الصلاة بشكل جماعي موقوت ومتناغم ومنضبط .فالصلاةُ التي فرضها اللّه تعالى على المسلمين، والسننُ التي سنّها لنا رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم وما فيهما من قيام وقعود وركوع وسجود وتوَرُّك وافتِراش واطمئنان، والْتِافاتٍ؛ فإنها تحفظ الجسم من الأمراض والترهلات، ثم إن المصلي مأمور أن يسجد على سبعة أعضاء كما في حديث ابن عباس قال: أُمر النبيُّ ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء: الجبهة، واليدين، والركبتين، الرجلين. وهذه الحركات في مجملها من شأنها أن تعمل على الحفاظ على النغمة العضلية وتنشيطها؛ والنغمة العضلية هي الانقباضات العضلية في حدها الأدنى للعضلات الهيكلية الكبرى والتي تعمل في المحافظة على القوام المنتصب للإنسان بشكل متوازن ، وأي ضعف في أحد جوانب أو أسطح الجسم يعرضه للانحراف والتشوه القوامي الذي يفضي بالتالي إلى قصور بعض الوظائف الحيوية للجسم .

والحج الذي هو جهاد الضعيف والكبير والنساء، والرمل بالبيت، في طواف بيت الله، وسرعة المشي مع تقارب الخُطَا، مبني على الحركة والسفر والترحال والانتقال من مكان إلى آخر للحصول على الطعام والغذاء كما في قوله تعالى: ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾[١١١] وهو أمر للإباحة وليس للإلزام.

وهذه الأرض قد جعلها الله تعالى سهلة ميسورة لنستقر عليها، ذلولة منقادة، لكي نمشي في أطرافها ونواحيها وآكامها وجبالها وفي طرقها وفجاجها؛ وفي هذا أشار إلى التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والأنهار وحفر الآبار، والبناء عليها وتعميرها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[١١٢] أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره اللّه لكم.

وقد جاء الأمر بالسعي والمشي حتى في يوم الجمعة ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا

(١١١) [سورة المائدة: ٢]

(١١٢) [سورة الملك: ١٥]

البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [١١٣]

وكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبتُ دعوتك، وصليتُ فريضتك، وانتشرتُ كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنتَ خيرُ الرازقين[١١٤].

وكان الصحابة يتخذون من الجري وسيلة للتسلية والمرح؛ يبن لنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ما كان من حال رسول الله ﷺ وأصحابه عندما يكونون في سفر أو في غزوة ماذا كانوا يفعلون؛ يقول: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ لاَ يُسْبَقُ شَدّاً[١١٥]، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: أَلاَ مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ بِأَبِي وَأُمّي ذَرْنِي فَلأُسَابِقَ الرّجُلَ. قَالَ: «إِنْ شِئْتَ[١١٦]

(١١٣)[سورة الجمعة: ٩]

(١١٤)الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي في:ج١٨ سورة الجمعة. الآية:١٠مختصر تفسير ابن كثير. في: المجلد الثالث.سورة الجمعة الآية:١٠

(١١٥)(لا يسبق شداً) يعني عدواً على الرجلين.

(١١٦) الحديث مختصرا وقد سبق تخريجه انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الجهاد والسير. باب غزوة ذي قرد وغيرها

أثر القيم الأخلاقية في التفوق الرياضي

الأخلاق هي عنوان الشعوب، وقد حثت عليها جميع الرسالات السماوية، والأعراف الأرضية، ونادى بها المصلحون في كل زمان ومكان، فهي أساس الحضارة، ووسيلة للمعاملة بين الناس؛ ومن هذا المعنى قوله عليه السلام:(بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١١٧] فبهذه الكلمات حدد الرسول الكريم الغاية من بعثته أنه يريد أن يتمم مكارم الأخلاق في نفوس أمته والناس أجمعين ويريد للبشرية أن تتعامل بقانون الخلق الحسن الذي ليس فوقه قانون، إن التحلي بالأخلاق الحسنة.

وقد تغنى بها الشعراء في قصائدهم بالأخلاق وما لها من أثر في تصرفاتهم وسلوكهم، ومن ذلك البيت المشهور لأمير الشعراء أحمد شوقي:

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيَتْ *** فإن هم ذَهَبَتْ أخلاقهُم ذَهَبوا[١١٨]

(١١٧) سبق تخريجه

(١١٨)مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قَبّش في: الباب الثالث عشر: باب الشين. ٤- الشعب والقوم

وهذه رسالة المصلحين من الرجال النجباء؛ الذين يحملون رسالة الحب والسلام للدنيا كلها في شتى المجالات؛ ومن ذلك مجال الرياضة والتواصل بين الشعوب، حتى قال قائلهم[١١٩]:

لكلِّ شَعْبٍ رجالٌ ينهضون به *** إلى المعالي وكم يأتونَ من عجبِ

إن البلادَ حياتُها ومماتُها *** برجالِها الأخيارِ والأشرارِ

فالأولونَ يَجَدِّدون لمجدِها *** ورُقيِّها في سائرِ الأطوارِ

يتطلبونَ لها حياةً ما بها *** كَدَرٌ ولا شيءٌ من الأقذارِ

والآخرونَ مُبَدِّدون لشملِها *** ولما لها من عِزَّةٍ وفَخارِ

يقفون في سبيلِ النهوضِ كعثرةٍ *** ويعاكِسُون مجاريَ الأنهارِ

يتسابقون إلى إبادةِ كُلِّ ما *** يبدو من الإصلاحِ والأفكارِ[١٢٠]

ولا شك أن للأخلاق دوراً كبيراً في تغيير الواقع الحالي إلى الأفضل؛ إذا اهتم المسلم باكتساب الأخلاق الحميدة التي هي ثمرة هذا الدين، والابتعاد عن العادات السيئة التي نبذتها رسالة خاتم النبيين، وبهذا أتى القرآن المجيد ممجدًا لدور الأخلاق في بناء

(١١٩) هو: أبو اليقطان

(١٢٠) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قَبّش في: الباب الثالث عشر: باب الشين. ٤- الشعب والقوم

المجتمعات وحفظ الحرمات والقضاء على السلبيات، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(١٢١)

فهذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات لما لها من أثر واضح في المعاملات بين الناس، وخاصة في المجال الرياضي الذي يحتاج إلى تواصل بين الشباب والشعوب؛ وقال ابن الزبير: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس، وقال جعفر الصادق:أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

وهذه الخصال تحتاج إلى بسط، وقد جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن سليم، قال جابر بن سليم أبو جري: ركبت قعودي ثم أتيت إلى مكة فطلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنخت قعودي بباب المسجد، فدلوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس عليه برد من صوف فيه طرائق حمر؛ فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال: «وعليك السلام». فقلت: إنا معشر أهل البادية، قوم فينا الجفاء؛ فعلمني كلمات ينفعني

(١٢١) سورة الأعراف:١٩٩

الله بها. قال: «آدن» ثلاثا، فدنوت فقال:»أعد علي» فأعدت عليه فقال:(اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا وأن تلقى أخاك بوجه منبسط وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه؛ فإن الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا، ولا تسبن شيئا مما خولك الله تعالى). قال أبو جري: فوالذي نفسي بيده، ما سببت بعده شاة ولا بعيرا. أخرجه أبو بكر البزار في مسنده بمعناه. وروى أبو سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:»إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق».

وروى سفيان بن عيينة عن الشعبي أنه قال: إن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ما هذا يا جبريل»؟ فقال: «لا أدري حتى أسأل ربي» فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال:»إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك». فنظمه بعض الشعراء فقال:

مكارم الأخلاق في ثلاثة *** ممن كملت فيه فذلك الفتى

إعطاء من تحرمه ووصل من *** تقطعه والعفو عمن اعتدى

وهذا كله حض على مكارم الأخلاق وفضائلها، فينبغي للمسلم أن يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطا؛ طلقا مع البر والفاجر، والقريب والغريب، من غير مداهنة، خاصة في مجالات التواصل بين الشعوب، وقد علّمنا ربُّنا سبحانه ذلك من دعوة الأنبياء والمرسلين، فقد أرسل الله تعالى موسى وهارون إلى فرعون وهمن وأوصاهما بقوله سبحانه: «فقولا له قولا لينا»[١٢٢]، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه. وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل في حدة فأقول لهم بعض القول الغليظ، فقال: لا تفعل! يقول الله تعالى: "وقولوا للناس حسنا".

ولا شك أن البعد عن أفعال الشر وأخلاق السوء يؤديان بالمسلم إلى تحقيق الكثير من الأهداف النبيلة والثمار الطيبة؛ من ذلك سعادة النفس ورضاء الضمير، وأنها ترفع من شأن صاحبها وتشيع الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وهي طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة؛ يتضح ذلك في الأخلاق النبوية التي تربى عليها الصحابة ونقلوها لنا جيلا بعد جيل؛ فقد روى الترمذي عن ابن

(١٢٢) سورة طه/٤٤.

مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (ليس المؤمنُ بالطّعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء). وفي رواية:»ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره» وفي رواية:»ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ومن لم يعرف لعالمنا حقه»

وهناك قيم وأخلاق ومبادئ في الإسلام تحكم الرياضة وتقوم على بسط الترويح والمنافسة الشريفة بين المتسابقين، بهدف الحفاظ على اللياقة في أحسن أوضاعها والاستعداد للجهاد في أي وقت يُدعَى إليه، ولما تمثله المصارعة من أهمية في حياة المسلمين؛ نجد واحدًا من كبار العلماء في علوم الحديث يؤلف رسالة يسميها (المسارعة إلى المصارعة) يجمع فيها ما ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث تدعو إلى ممارسة رياضة المصارعة؛ ذكر صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون كتابًا بعنوان: المسارعة إلى المصارعة رسالة لجلال الدين السيوطي. ذكرها في: (فهرست مؤلفاته) في فن الحديث[١٢٣].

(١٢٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة: باب الميم. المسارعة، إلى المصارعة.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن يزيد ابن أبي زياد قال: صارع النبيصلى الله عليه وسلم أبا ركانة في الجاهلية؛ وكان شديدا، فقال: شاة بشاة؛ فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: عاودني في أخرى؛ فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: عاودني؛ فصرعه ﷺ الثالثة فقال أبو ركانة: ماذا أقول لأهلي، شاة أكلها الذئب، وشاة نشزت، فما أقول في الثالثة ؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك فنغرمك خذ غنمك.وفي رواية لأبي داود في المراسيل عن سعيد بن جبير قال: فصارعه فصرعه فأخذ الشاة، فقال ركانة: هل لك في العود؟ ففعل ذلك مراراً؛ فقال يا محمد: ما وضع جنبي أحدٌ إلى الأرض، وما أنت بالذي تصرعني؛ فأسلم ورد النبي صلى الله عليه وسلم عليه غنمه.[١٢٤] [١٢٥]

(١٢٤) قال الحافظ إسناده صحيح إلى سعيد بن جبير إلا أن سعيدا لم يدرك ركانة. قال البيهقي وروى موصولا وفي كتاب السبق لأبي الشيخ من رواية عبيد الله بن يزيد المصري عن حماد عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مطولا.

(١٢٥) نيل الأوطار للإمام الشوكاني الجزء الثامن، باب ما جاء في المسابقة على الأقدام والمصارعة واللعب بالحراب وغير ذلك

وفي هذه الأحاديث عدة فوائد:

في ذلك دليل على جواز المصارعة بين المسلم والكافر، وهكذا بين المسلمين ولا سيما إذا كان المراد منها التدرب على الجهاد والاستعداد للقتال، أو كان يرجو حصول خصلة من خصال الخير بذلك، أو كسر ثورة كبر متكبر، أو وضع مترفع بإظهار الغلبة له، وكما رُوى من مصارعته (ﷺ) ركانة.

وحرصًا من النبي ﷺ على ألا تأخذ هذه الرياضة طريقًا غير الحق؛ نجد أن النبي ﷺ يدعو أصحابه إلى إعمال عقولهم عندما يدعو داعي الغضب، وعند مواجهة المشاكل والأزمات؛ فلا ينفعل الإنسان أو يقع في قبضة شيطان فيندم على ما كان.

عن الْحارِثِ بنِ سُوَيْدٍ عن عَبْدِ اللّه رضي اللّه عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: "مَا تَعُدّونَ الصّرَعَةَ فيكُم؟ قالُوا: الّذي لا يَصْرِعُهُ الرّجَالُ. قالَ: لاَ وَلكِنّهُ الّذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"[١٢٦]

ولهذا قال النبي ﷺ للذي قال له أوصني: «لا تَغْضَبْ» فردّد مرارًا، قال: «لا تَغْضَبْ»[١٢٧] فلم يزده في الوصية على لا تغضب مع

(١٢٦) (رواه البخاري في صحيحه (٣٤/٨) ورواه مسلم في صحيحه برقم/٢٦٠٨.

(١٢٧) صحيح البخاري: الجزء الرابع. ٧٦ - باب: الحذر من الغضب. الحديث رقم: ٥٧٦٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه

تكراره الطلب، وهذا دليل ظاهر في عظم مفسدة الغضب وما ينشأ عنه، وفي رواية أنه ﷺ قال في الذي اشتد غضبه: «إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»

قال الإمام النووي: وفي هذا إشارة إلى أن الغضب في غير الله تعالى من نزغ الشيطان، وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيذ فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأنه سبب لزوال الغضب.[١٢٨] فعَن عَلِيِّ بْنِ رُكَانَةَ: أَنَّ رُكَانَةَ -كان رجلاً شديدًا- صَارَعَ النَّبِيَّ، فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ[١٢٩].

وفي رواية لأبي داود في المراسيل عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: فصارعه فصرعه فأخذ الشاة فقال ركانة: هل لك في العود؟ ففعل ذلك مرارًا؛ فقال يا محمد: ما وضع جنبي أحدٌ إلى الأرض، وما أنت بالذي تصرعني؛ فأسلم ورد النبي ﷺ عليه غنمه[١٣٠].[١٣١]

(١٢٨) صحيح مسلم بشرح النووي،: كتاب البر والصلة والاداب.باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب.

(١٢٩) أبو داود.

(١٣٠) سبق تخريجه.

(١٣١) نيل الأوطار للإمام الشوكاني الجزء الثامن كتاب الجهاد والسير أبواب السبق والرمي باب ما جاء في المسابقة على الأقدام والمصارعة واللعب بالحراب وغير ذلك

ومن ثم عرفت الرياضة في الإسلام مبادئ الإدارة والتنظيم الرياضي الجيد؛ فمنذ الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة وفي حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يقيمون مسابقاتهم، ويجرون منافساتهم؛ وفق قواعد ومبادئ وأسس تعتمد أول ما تعتمد على إقامة شرع الله من إحقاق الحق وإقامة العدل، ومنع الظلم والضر.

ولقد أقر النبي ﷺ مبدأ المنافسة الرياضية الشريفة في إطار المسابقة؛ فقد أخرج النسائي وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا سَبَقَ إلاّ في نَصْلٍ أوْ خُف أوْ حَافِرٍ) [١٣٢] وقد فسر العلماء السبق بأنه السباق على رهان. وبه قَصَر مالك والشافعي جواز المسابقة بهذه الأشياء، وخصّه بعض العلماء بالخيل. وأجازه عطاء في كل شيء. قاله الزرقاني، وقد منع بعض العلماء الرهان في كل شيء إلا في الخيل؛ لأنها التي كانت عادة العرب المراهنة عليها. [١٣٣]

وعلى هذا الأساس، فإن للقيم التربوية والأخلاق الإسلامية

---

(١٣٢) سنن الترمذي (وشرح العلل) :. المجلَّد الثالث الحديث رقم: ١٧٥٢ - وسنن ابن ماجه: الجزء الثاني الحديث رقم: ٢٨٧٨ تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم الحديث رقم: ٢٥٧٢

(١٣٣) الجامع للقرطبي جزء ٩ سورة يوسف. الآية: ١٧

أثرا واضحا في التعاون والصدق وفي القول والإخلاص وفي العمل والوفاء واحترام كرامة الإنسان، وحب الخير للناس، وتقدير الأمانة والاستخلاف، وإغاثة الملهوف...والصبر على الشدائد، وغيرها من القيم التربوية الإسلامية، التي لا يمكن أن تينع وتزدهر إلا في ظل الاعتقاد الصادق في الله تعالى ومراقبته بصفة دائمة.

وهذا الشرط وحده هو الكفيل بضمان الحفاظ على المقاصد التي رمت إليها الشريعة الإسلامية؛ لأن الإسلام يعتبر القيم الأخلاقية عماد المجتمع وسنام نظامه، بل ونظام الأمة الاجتماعي كله، ولهذا السبب فإننا لا نجد أي مفهوم للأخلاقيات الشخصية أو التقوى يخلو من العمل الاجتماعي في ظل الإسلام، وبالتالي تحتل الشريعة مكانة سامية في إطار المجتمع الإسلامي؛ فإذا حدث خروج عنها، اختلت الشخصية الإنسانية وتأثر الفرد ماديًا واجتماعيًا.

إن القيم التربوية في مفهومها الإسلامي تنشر أجنحتها على سلوك الإنسان في جوانبه الدقيقة لتضمن لها الارتقاء والتدرج في مستويات الكمال والذوق الرفيع.

الفصل الثاني

الرياضة وتنمية العلاقات الاجتماعية.

وفيه:

غاية القيم الاجتماعية.

أثر الرياضة في تنمية القيم الاجتماعية.

تمهيد

لا ينكر أحدٌ أن للرياضة أثراً واضحًا في تنمية الصفات البدنية؛ ومن ثم نجد لها أثراً جلياً في تنمية العلاقات الاجتماعية؛ وذلك من خلال التواصل بين الشباب في الأندية ومراكز الشباب والقرى من خلال الدورات التي تقام في المواسم المختلفة؛ ولا غرابة في ذلك فهي أحد أبرز الأنشطة الاجتماعية التي لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات الإنسانية، ولقد عرف الإنسان ممارسة الرياضة- بصورة أو بأخرى – عبر عصور مختلفة وحضارات متباينة.

ومهما كان الدافع وراء ممارسة الرياضة أهي اعتبارات عسكرية أو لشغل أوقات الفراغ، أو كشكل من أشكال الترويح أو لأهداف تربوية؛ تبقى الرياضة مظهرا من المظاهر الاجتماعية المحببة لدي قطاع كبير من الجماهير سواء بالممارسة أو المشاهدة أو الحفاظ على الصحة... أو غير ذلك من الأسباب.

ومن ثم فطن كثير من المفكرين التربويين إلى أثر الرياضة في بناء القيم الاجتماعية وقدرتها الكبيرة على التنشئة والتطبيع وبناء الشخصية الاجتماعية المتوازنة، هذا بالإضافة للآثار الصحية التي يجنيها ممارس الرياضة من ممارسة الرياضة المحببة إليه.

يقول الدكتور أمين الخولي: وفي العصر الحديث ونتيجة للجهود المتواصلة لعلماء وباحثي التربية البدنية والرياضة في سعيهم لتأكيد البناء ا لمعلوماتي لنظامهم الأكاديمي؛ أمكن لأول مرة النظر إلى الرياضة نظرة يحدوها الشمول؛ فكان من الصعب تناول هذا النشاط الإنساني ا لمتنامي بعد أن بدأت الأبعاد الاجتماعية والثقافية للرياضة تتضح؛ وأصبح من الصعب تجاهل ا لمغزى الاجتماعي لهذا النشاط الإنساني البارز. الرياضة والمجتمع أ د أمين أنور الخولي ط عالم المعرفة العدد ٢١٦

والعلاقات الاجتماعية: هي مجموعة الأخلاق التي يتحلى بها الفرد أو الجماعة، والتي تعود بالخير على المجتمع، وهي تقوم على أساس التعاون والتراحم والتواصل والتوادد والتضحية والعطاء وحب الآخرين.

وهذا مبدأ من مبادئ الإسلام، وهدف من أهدافه؛ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى". (١٣٤) فهذا الحديث صريح في

(١٣٤) صحيح مسلم. الجزء الرابع. ١٧ - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. الحديث رقم: (٢٥٨٥)

تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، ويدعو إلى التواصل مع الآخرين وصله الأرحام، وحسن الجوار؛ طالما كانت الوسائل مشروعة، والغايات محمودة.

وممارسة الرياضة وسيلة من وسائل تقوية العلاقات الاجتماعية على اعتبار أنها تحث على التمسك بالصفات الراقية والقيم العليا التي جاء بها الشرع الحنيف.

غاية القيم الاجتماعية

وتظهر هذه القيم في الشجاعة وإغاثة الملهوف وحسن الجوار وكف الأذى ورد المظالم، وزيارة المريض واحترام الآخرين في سلوكهم وآرائهم، وفي بناء الثقة بين أفراد المجتمع وحفظ أملاك الآخرين والمشاركة بالعمل الاجتماعي، وهذا كله وغيره يحتاج إلى تدريب وتعلم بالأسوة ممن يحملون هذه القيم، وفي صحبتهم للتأسي بهم.

وفي الحديث الشريف :»إن اللّه يحب إغاثة اللّهفان»[١٣٥] أي المكروب المظلوم المستغيث أو المضطر المتحسر، والمقصود:إعانته ونصرته؛ ولا شك أن النصرة والإعانة تحتاجان إلى صحة وقدرة وشجاعة، وورد في فضل إعانته أخبار وآثار تحمل من له أدنى عقل على بذل الوسع فيها واستفراغ الجهد في المحافظة عليها.

القيم الاجتماعية تعتمد على التحلي بضبط النفس خاصة عند الغضب؛ فعن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ما تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فيكُمْ؟ قلنا: الذي لا تصرعُه الرجالُ، قال: لَيْسَ بذلكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذي يَمْلكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَب»[١٣٦]، الصُّرَعَةُ

(١٣٥)فيض القدير، شرح الجامع الصغير، اللإمام المناوي في: الجزء الثاني. [تابع حرف الهمزة]. في الحديث رقم: ١٨٦٣

(١٣٦)صحيح مسلم بشرح النووي،كتاب البر والصلة (٢٦٠٨)باب فضل من يملك نفسه عند الغضب،وبأي شيء يذهب الغضب.

بضم الصاد وفتح الرَّاء: المُبَالِغُ في الصَرَّاع الذي لا يُغْلَبُ، فنقَلَهُ إلى الذي يَغْلِبُ نفْسَه عند الغَضَب ويَقْهَرُهَا، فَإنّه إذا مَلَكَها كانَ قد قَهَرَ أقوى أعْدَائِه وشَرَّ خُصُومه.

قال الإمام المناوي: أي إنما القوي من كظم غيظه عند ثوران الغضب، وقاوم نفسه وغلب عليها؛ فحول المعنى فيه من القوة الظاهرة إلى القوة الباطنة، ومن ملك نفسه عنده فقد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه، لخبر: أعْدَى عَدُوّ لكَ[١٣٧] نَفْسُكَ التي بينَ جَنْبَيْك[١٣٨]، وهذا من قبيل المجاز وفصيح الكلام؛ لأن الغضبان لما كان بحال شديدة من الغيظ، وقد ثارت عليه سورة الغضب، وقهرها بحلمه، وصرعها بثباته، كان كمن يصرع الرجال ولا يصرعونه.[١٣٩]

يؤكد ذلك المعنى ما حدث لأهل المدينة يوماً، حينما فزعوا من صوت عالٍ، فأراد الناس أن يعرفوا سبب الصوت فخرجوا مسرعين قبل الصوت، وبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم النبي صلى الله عليه

(١٣٧) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قَبِّش في: الباب الثامن عشر: باب العين. -٥- العدو.

(١٣٨) لجامع الصغير. لجلال الدين السيوطي: المجلد الخامس. باب: حرف اللام. في الحديث رقم: ٧٦٠٨

(١٣٩) فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي في: الجزء الخامس. حرف اللام. في الحديث رقم: ٧٥٧٧

وسلم يهدئ من روعهم، يقول أَنس: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ فَقَالَ لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ.[١٤٠] أي (لا تخافوا ولا تفزعوا)

فهذا الموقف يبين شجاعته ﷺ، حيث خرج قبل الناس لمعرفة الأمر، وليطمئنهم ويهدأ من روعهم

قال علي رضي الله عنه في وصف النبي: كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس صبراً، وأشجعهم قلباً ، وأصدقهم لهجةً ، وألينهم عريكةً ، وأكرمهم عشرةً ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا اعترت الصحابة المخاوف أسرع بنفسه إلى كشفها وإزالتها

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ما رأيت أشجع، ولا أنجد، ولا أجود، ولا أرضى من رسول الله ﷺ ، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا ألَمَّت بهم الملمَّات وأحاطت بهم المخاوف لاذوا بجنابه الرفيع ، واحتموا بحماه المنيع صلى الله عليه وسلم

وقال سيدنا علي كرَّم الله وجهه: كنا -أي معشر الصحابة-

(١٤٠) رواه الشيخان

إذا حمي البأس أو اشتد البأس واحمرَّت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه

ومن المظاهر الاجتماعية التي حث عليها الإسلام أن يشغل الرجل نفسه ووقت فراغه باللعب مع أهله وتأديب فرسه؛ روى النسائي بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : كلُّ شيءٍ ليس من ذكر الله لهوٌ ولعب إلا أن يكون أربعة :

- ملاعبة الرجل امرأته،
- وتأديب الرجل فرسه،
- ومشي الرجل بين الغرضين
- وتعليم الرجل السباحة[١٤١]

أي أن كل شيء ليس فيه ذكر لله تعالى فهو مذموم لا نفع فيه ولا خير وراءه ، وكل لذة يعقبها ألمٌ في الآخرة ولم توصل إلى لذة هناك فهي باطلة ، (إلا أن يكون أربعة) أي واحد من أربعة. ولهذا عدّ لذة الرمي بالقوس ، وتأديب الفرس من اللهو المباح لأنه يعين على الجهاد وكلاهما شيء محبوب إلى الله تعالى ، فكل ما أعان على حصول محبوب الله فهو من الحق ، وعدّ أيضاً ملاعبة الرجل

(١٤١) الجامع الصغير.لجلال الدين السيوطي: المجلد الخامس.باب حرف الكاف. الحديث رقم: ٦٣١٦.

امرأته من الحق لإعانتها على النكاح المحبوب للّه . وقال القرطبي: فيه تحريم الغناء لأنه لم يرخص في شيء منه إلا في هذه الأربعة فيحرم ما سواها من اللهو لأنه باطل كما في خبر آخر ، والغرض هو مرمى السهم، يحتمل أن المراد مشيه بينهما في القتال ليجمع السهام المرمى بها أو مبارزة للقتال.

وعن بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: علموا أبنائكم السباحة والرماية، ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل، (والمرأة المغزل) أي الغزل بالمغزل لأنه لائق بها واللّه يحب المؤمن المحترف ويكره البطال وذلك لأن البطالة تجر إلى الفساد لا سيما في شأن النساءّ. وإذا دعاك أبواك فأجب أمك[١٤٢]

قال أحد الحكماء : هذه خصال من رؤوس الأدب فلا ينبغي أن يغفل عنها.

وكان من عادة الصحابة الأجلاء رضوان الله تعالى عنهم ممارسة الرياضة بين الحين والآخر تجديداً لنشاطهم، وحرصاً على سلامة صحتهم، وقوة بنيانهم.

---

(١٤٢)الجامع الصغير. لجلال الدين السيوطي الحديث رقم:٥٤٧٨- وتصحيح السيوطي: حسن

أثر الرياضة في تنمية القيم الاجتماعية

والقرآن الكريم يعطي إشاراتٍ واضحةً إلى أن طبيعة الشباب المسلم عندما يلهو ويلعب؛ إنما يلهو ويلعب بما هو مباح ومفيد؛ ففي سورة يوسف يشير سبحانه إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا...﴾[١٤٣] إنا ذهبنا ننتضل» وهو نوع من المسابقة؛ قاله الزجاج. قال القشيري أبو نصر: «نستبق» أي في الرمي، أو على الفرس؛ أو على الأقدام؛ والغرض من المسابقة على الأقدام تدريب النفس على العَدْوِ، لأنه الآلة في قتال العدو. وقال السدي وابن حبان: «نستبق» نشتدُّ جرياً لنرى أينا أسبق.

وقال الأزهري: النضال يكون في السهام، والرهان يكون في الخيل، والمسابقة تجمعهما.

قال ابن العربي: المسابقة شرعة في الشريعة، وخصلة بديعة، وعون على الحرب؛ وقد فعلها ﷺ بنفسه وبخيله، وسابق عائشة رضي الله عنها على قدميه على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

---

(١٤٣) سورة يوسف/١٦-١٧.

فالاستباق أو السبق في العدو يكون إلى غاية بعينها وكذا في قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١٤٤] قال ابن عباس: يسعى وينشط.

"ونلعب" من اللعب وقيل لأبي عمرو بن العلاء: كيف قالوا "ونلعب" وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذ أنبياء.

وقيل: المراد باللعب: اللعب المباح من الانبساط، لا اللعب المحظور الذي يعد من اللهو ويبعد الإنسان عن مكارم الأخلاق؛ ولذلك لم ينكر يعقوب (عليه السلام) قولهم "ونلعب". ومنه قوله عليه السلام: ("فَهَلاّ بِكْراً تُلاَعِبُهَا؟").[١٤٥] وفي رواية: هَلاّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ؟)

وهذا جابر بن عبد اللّه، وجابر بن عمير الأنصاري - رضي الله عنهما- يتدربان على الرماية وفنونها في وقت فراغهما، بل إن أحدهما عندما رأى في صديقه فتوراً أو كسلاً يذكره بحديث رسول الله ﷺ الداعي إلى النشاط والحيوية.

فعن عطاء بن أبي رباح قال: رأيت جابر بن عبد اللّه، وجابر بن

(١٤٤) سورة يوسف/١٢.

(١٤٥) أخرجه مسلم رقم: ٧١٥ والبخاري برقم ٢٨٠٥

عمير الأنصاري يرميان، فملّ أحدهما، فقال الآخر: أكسلت؟ قال: نعم، فقال أحدهما للآخر: أما سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: كل شيء ليس من ذكر اللّه فهو لهو، ولعب، وفي لفظ: وهو سهو ولغو، إلا أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعلم الرجل السباحة[١٤٦].

وكان رسول الله ﷺ يحب أن يرى في أصحابه المهارات المختلفة، والمواهب الداعية إلى القوة والنشاط، والحافظة للصحة والبنيان.

(١٤٦) نصب الراية، للزيلعي في: الجزء الرابع. كتاب الكراهية. فصل في البيع. الحديث الثالث والأربعون

الخاتمـــة

ها هو القلم قد وصل - بعد رحلة شاقة - إلى شاطئ الأمان ومرفأ السلام بعد تسجيل أهم النتائج التي توصل إليها، والتي يرجو من خلالها أن يحقق الله -جلّ جلاله- حلمه الذي راوده كثيرًا، وأن يجني زرعه وثمار غرسه بعد أن يسارع في تقديم أهم ما توصل إليه في موضوع الرياضة والأخلاق.

فما أبعد الفرق بين رياضة اليوم ورياضة الأمس، بين رياضة طلب بها أهلها طاعة الله تعالى، وابتغوا رضوانه، وكانت سبباً في قوتهم وصلاحهم، وبين رياضة تعكس صورة الحضارة الزائفة بعريها وخلاعتها وقمارها وفحشها.

إننا نحتاج اليوم لإعادة صياغة أنفسنا والدنيا من حولنا، وأن نتربّى تربية القادة لا تربية العبيد، ولابد في ذلك من علوّ الهمة وكمال العزيمة وصدق النية.

إن الغاية من ممارسة الرياضة في الماضي كانت تتمثل في الاستعانة على إحقاق الحق ودحر الباطل، وأما الغاية اليوم فقد اختلفت وأصبحت الرياضة وسيلة لجمع المال والشهرة وحب الظهور، بل قد وصل الأمر إلى أنها أصبحت سببًا في العداء بين الإخوان والشقاق بين الشعوب.

ولا يصلح في ذلك ما تعارفت عليه الشعوب أو ما صار مشهورًا

مألوفًا إذا خالف الشرع الحنيف؛ إذ الشرع حاكم على الجميع وضابط للمشاعر والسلوكيات، ومهيمن على كل ناحية من نواحي الحياة.

وفي النهاية أقول:

إنّ الإسلامَ دينُ حضارةٍ زاهرة، وقيم راسخة، وأهداف سامية؛ لا يفصلُ بينَ التربيةِ البدنية والتربيةِ الروحية؛ فكلاهما غايةٌ لإصلاح الفرد والمجتمع، وعليهما تدورُ رحَى الإسلام.

ومن ثم يتضح دور المدارس والجامعات والأندية في تفريخ جيل رياضي ليس بالضروري أن يكونوا أبطالاً فحسب، ولكن حرصًا على الصحة التي هي تاجٌ على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.

إن التربية الرياضية للبدن يجب أن تأخذ طريقها من منطق الإسلام، وتهدف إلى ما يهدف إليه الإسلام من عناية بالجسد، وحفظ للوقت ألا يضيع إلا فيما ينفع الإنسانَ في دينه ودنياه، حتى وإن كان ذلك في مجالِ اللهو واللعب، وما ضعف المسلمون إلا منذ أن أخذوا من الدين بعض مظاهره، وتركوا جوهره الداعي إلى القوة والعزة والمنعة، وتركوا فنون الرمي بالسهام، واتجهوا إلى محاربة بعضهم باللسان، واعتبروا أن الرياضة تشجيع وتعصب لنادي كذا، متناسين أن الرياضة ممارسة وليست مشاهدة.

فلابدّ من جعل الرّياضة البدنيّة سلوكاً عاماً بين الناس، وحركة

دائبة للحياة؛ تجديدًا للنشاط البدني وطردًا للأمراض ودفعًا للملل ونبذًا للكسل.

المداومة على ممارسة الرياضة البدنية يوميا صباحًا أو مساءً من منطلق: إن لبدنك عليك حقًا..[١٤٧] مما يعمل على خلق جسم سليم وعقل ناضج وفكر متجدد.

العمل على إيجاد الرياضي المسلم الذي يحرص على ضرب المثل في القيم الراقية والأخلاق الرفيعة والسلوك الفاضل، داخل حلبة الرياضة وخارجها، ويكون ذلك بالتكريم المتميز والحافز المناسب من خلال كأس أو شهادة أو غير ذلك.

وعلى الحكومات الإسلامية والعربية أن تضع في اعتبارها عند تقسيم المدن الجديدة أن يكون هناك طرق ومسارات في كل منطقة، وحول الأماكن العامة لكبار السن والنساء يجدون من خلالها منفذًا لممارسة رياضة المشي والجري، وأعتقد أن ذلك سيوفر على هذه الحكومات كثيرًا من الأموال الطائلة التي تنفقها على المرضى الذين وقعوا فريسة للمرض بسبب عدم توافر مثل هذه الأماكن لممارسة الرياضة.

الحفاظ على الآداب والقيم والأخلاق الإسلامية أثناء وبعد

---

(١٤٧) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي المجلد السابع كتاب الفتن - أعاذنا الله منها - الحديث رقم١٢٠٤٧

ممارسة الرياضة في ضوء (الأُطُر الشَّرعيَّة لِمُمَارَسَة الرِّيَاضَة) والتي جاءت ضمن ثنايا هذا الكتاب، لأن الخلق الزاكي لغةٌ عالمية تُعجب وتُقنع، والقدوة الحسنة -فردية كانت أو اجتماعية- تفرض احترام العقيدة والحفاوة بها- ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثال في انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها؛ فقد كانوا رجالاً أصحاب خلق زاك، وسلوك راقٍ؛ غلبوا فكانوا أرحم الغالبين، وحاربوا فكانوا أنزه المحاربين، وباعوا فكانوا أنصح الباعين، وجاوروا فعز بجوارهم الإنسان والطير والحيوان.

استحضار النية عند الشروع في أداء التمرين الرياضي؛ لتحويل العادة إلى عبادة يُثَابُ فاعلُها؛ فيكون عمله مقبولاً كبقية أعمال العبادة، وهذا من شمول الإسلام عندما يتيح لأتباعه تحويل العادة إلى عبادة تحضرها الملائكة.

وليس هناكَ ما يمنعُ من الأخذ بالرياضة بمفهومِهَا المعَاصِر، وبتوجيهاتها الإسلامية الأصيلة، كما أنه ليس هناك ما يمنع من الأخذ بالتقنيات الحديثة التي تُنظم اللعبة الرياضية، طالما لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه.

الفهـــــرس

الموضوع **الصفحة**

تمهيد ٤

الباب الأول: القيم الأخلاقية في التربية الرياضية ١٦

الفصل الأول: اهتمامُ الإسلام بالْقِيَم الأَخْلاقِيّة في التّربيَة الرّيَاضيّة ١٧

مَفْهُومُ الْقِيَم الأَخْلاقيّة ١٨

فَائدَةُ الْقِيَم الأَخْلاقِيّة ٢١

قبول الأخلاق للتغيير ٣١

الضَعْفُ الخلُقي دَليلٌ عَلَى ضَعف الإيمَان ٤٤

القِيَمُ الأخلاقِيّة في رِحَاب الإسْلام ٤٨

البعد الأخلاقي في أركان الإسلام ٦٢

الفصل الثاني: الأسس التي تقوم عليها القيم الأخلاقية في الرياضة ٧٤

تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى ٧٧

صياغة شخصية الفرد المسلم ٧٨

تحقيق الخير للبشرية من خلال مقاصد الشريعة ٨٠

الموضوع	الصفحة
تحقيق التعارف والتآلف بين البشر	٨٤
الفصل الثالث: أهداف القيم الأخلاقية في التربية الرياضية	٨٨
نبذ الأخلاق المذمومة في ممارسة الرياضة	٩٢
إثبات الأخلاق المحمودة في ممارسة الرياضة	٩٦
الباب الثاني: أثر ممارسة الرياضة البدنية	٩٩
الفصل الأول: أثر ممارسة الرياضة في الحفاظ على الصحة والتفوق الرياضي	١٠٠
الْحَرَكَةُ هي عِمَادُ الرِّيَاضَة	١٠١
شريعة الإسلام تحث على الحركة	١٠٤
أثر القيم الأخلاقية في التفوق الرياضي	١٠٨
الرياضة وتنمية العلاقات الاجتماعية	١١٩
غاية القيم الاجتماعية	١٢٣
أثر الرياضة في تنمية القيم الاجتماعية	١٢٨
الخاتمة	١٣١
الفهرس	١٣٥